جامعة الأزهر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
فرع البنات - القاهرة
د. ماجدة محمد كامل درويش
مدرس العقيدة والفلسفة

الاستشراق والفلسفة الإسلامية

الناشر
مصر للخدمات العلمية
٧٣م شارع مصر والسودان
حدائق القبة - القاهرة

" يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون، هو الذى أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون "

سورة التوبة
آية ٣٢ ، ٣٣

مقـــــدمة :

الحمد الله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى سيد المرسـلين النبـى الامين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، ومن دعا بدعوتـه وعمـل بهديـه الى يوم الدين.

أما بعد :

إن عالمنا الاسلامى اليوم يموج بالافكـار التـى لـم تكـن وليـدة الصدفـة، وتلك الافكار والاراء التى تجمع بين الإفراط والتفريط، او هى التى قسـمت لا المسلمين فحسب بل كل سكان المعمورة إلـى المتشـددين وعلـى النقيـض منهـم المفرطيـن، ولكـن فيمـا اعتقـد كـانت وليـدة تخطيـط طويـل ودقيـق منظـم مــن المتربصين بالاسلام تكاتفت فيه جهودهم على الرغـم مـن الاختـلاف الزمنـى، والهدف الذى من اجله يسعون لتشويه الاسلام، وإفساد عقيدته السمحة، والنيـل من شبابه، وسواء اكان هذا العداء لـذات الاسـلام كمـا فعلـت الكنيسـة، ام كـان عـداء للمجتمعـات بهـدف فـرض السـيطرة واسـتغلال المـوارد كمـا فعـل الاستعمار... أو لغير ذلك من الاهداف.

ومما لا شك فيه ان الاستشراق كـان لـه اثـارا علـى اوربـا وكذلـك علـى العالم الاسلامى، بل على الانسانية كلها، وكان من بين اثـاره جوانـب إيجابيـة، وجوانـب سـلبية قبـل ان اتحـدث عـن ايـن منهـا لابـد اولا مـن تحديـد المفـاهيم الخاصة بالاستشراق، سواء من ناحية اللغـة أو توضيـح لحقيقتـه وتاريخـه مـع بيان للمراحل التى مر بها، والاهداف العامة التى يسعى لتحقيقها.

ولقد وجدت العديد من المؤلفات التـى تحدثنـا عـن الاثـار المترتبـة علـى الاستشراق فى العالم الاسلامى عامة والوطـن العربـى خاصـة، وظهـرت هـذه

الاثار فى جوانب عديدة كالادب العربى، والجوانب السياسية التى ادخلت افكارا عديدة تعلو تارة وتسقط تارة لتثبت عجزها وبشريتها امام الوحى الإلهى الذى يناسب كل زمان، وكل مكان.

ومن هذه الافكار الشيوعية .. والرأسمالية .. والعلمانية .. أوالوجودية .. الى غير ذلك من الافكار التى تجمع بين السياسة والاقتصاد والفلسفة...

وهنا أجد تساؤلا يفرض نفسه، إذا كان الهدف من نشر تلك الأفكار هو صرف المسلمين عن اسلامهم الصحيح، ولا يتم ذلك إلا بطرق كل الابواب الموصدة البعيد منها قبل القريب حتى يلتبس الامر على المارد النائم الغافل عن دينه وحضارته.

هل استطاع الاستشراق فعلا من التأثير على العقيدة الاسلامية، وهى أغلى ما يملكه المسلم بين ضلوعه، قلب يعرف الله بما يجب له من صفات، وما علم من الدين بالضرورة، قلب يؤمن بالنبى المرسل من الله وما يجب ويجوز وما يستحيل فى حقه صلى الله عليه وسلم، قلب يؤمن بكل الامور السمعية التى أخبر بها النبى الكريم صلى الله عليه وسلم.

هل استطاع الاستشراق أن يغير تلك العقيدة أو يعدلها – كما يدعى بما يتلائم وطبيعة العصر فى عيون المسلم وغير المسلم ؟

وما موقف الاستشراق من الفلسفة الإسلامية، وما مدى تأثيره عليها، أو تأثره بها ؟

هذا ما سوف أحاول جاهدة أن اجيب عليه فى الصفحات المقبلة، من خلال الدراسة الموضوعية لأهم النقاط المتصلة بموضوع الاستشراق.

وقد بدأت هذه الدراسة بمدخل عن الفكر الإنسانى والفكر الاسلامى والعلاقة بينهما، ثم بينت المصادر الاساسية التى تميز الفكر الاسلامى.

وتناولت حركة الاستشراق ثم بينت المفهوم اللغوى للاستشراق، وكذلك المفهوم العلمى له، ثم تحدثت بإيجاز عن تاريخ الاستشراق وبينت - من وجهة نظرى علاقته بالاستعمار الغربى. ثم بينت مراحله مبتدأه بمرحلة التكوين ثم مرحلة التقدم، ثم مرحلة الانطلاق.

ثم تناولت عرضا لكتاب الغزالى للبارون كارادفو : وهو علامة فرنسى، وترجع اهمية هذا الكتاب إلى ان مؤلفه على حد قول المؤلف عن الغزالى - "إن الغزالى واكثر المؤلفين الذين ذكروا فيه يعدون - فى الوقت الحاضر - المصنفين الكلاسيين للحركة الاسلامية فكتبهم كثيرة الانتشار فى الشرق وهى تقرأ وتدرس فى المدارس والمساجد"(١) .

وبعد ذلك تناولت عرضا لكتاب المستشرقون البريطانيون أ.ج. اربرى وهو علامة بريطانى اراد من خلال هذا المؤلف ان يظهر المجهودات المضيئة التى قام بها رواد الاستشراق الانجليز، ولكنه يعرض فى ايجاز لبعض الآراء الاسلامية التى لها ارتباط وثيق بالعقيدة والفلسفة الاسلامية.

---

(١) الغزالى : كارادفو تعريب عادل زعيتر مراجعة عبد الغنى حسن دار احياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه سنة ١٩٥٩م ص ٩ المقدمة.

واردت بإختيار هذين المؤلفين احداث نوع من المقارنة او معرفـة مـدى إتفاق المستشرقين الانجليز والفرنسيين وموقفهم مـن اهـم تلـك القضايـا التـى شغلت الفكر الفلسفى الاسلامى.

وقد حاولت فى هذه الدراسة أن اكـون موضوعيـة متخليـة عـن إنتمـائى الدينى والعربى وحاولت جاهدة أن اترك القلم لما وصل إليه فكـرى يسـطر مـا يراه صوابا.

ونصب عينى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من أجتهد فأصـاب فله اجران، ومن أجتهد فأخطأ فله اجر ".

ويكفينى شرفا أنى طرقت الباب ... وليكمل من أتـى بعدى مـا قصـرت فيه وعجزت عنه.

" ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا
ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولنا فأنصرنا
على القوم الكافرين. "

مدخـــل :

الفكر الإنسانى والفكر الإسلامى :

الفكـر الإنسـانى : هـو ذلـك الرصيـد العلمـى العملـى الحضـارى الـذى كونتـه البشـرية خـلال عصـور التـاريخ المتلاحقـه وبنتاجـه تقـوم حضــارات وتندثـر حضارات ولذلك تلجأ الامم والجماعات إلى احـداث نوعـا مـن التـأثير الفكـرى الذى يحقق التقارب بين الامم عن طريق تبادل الافكار العلمية والعادات النافعة ووسائل المعيشة المادية.

وهذا هو مفهوم كل فكر سواء كان غربى أو عربى أو اسلامى.

الفكر الإسلامى : لا يخرج مفهزم الفكر الاسلامى عن المفهوم السابق إلا انـه اكثر تخصيصا لإنتمائه إلى فئه خاصة تجمعها سمة إنتسابها للإسلام.

فالفكر الاسلامى هو نتاج النشاط العقلى للمسـلم فـى صورتـه النقيـة مـن حيث اعتمادة على النبع الصافى وهو كتاب الله عز وجـل، وسـنة نبيـه الكريـم صلـى اللـه عليـه وسـلم، ومـا يؤخـذ منهمـا. سـواء بطريــق اجمــاع الأمــه أو الاستنباط. وإلى جانب ذلك ارتباطه بالنواحى العلمية والعملية التى تقـوم علـى أساسها الحضارات من علوم وفنون وثقافات علمية واقتصادية ومدنية ... إلـى غير ذلك.

فالفكر الاسلامى نقطة إنطلاقه اسلامية فعندما يتعامل مع موضـوع مـن الموضوعات التى يتعرض لها ويتعامل معه فى إطار الوحى الإلهى النابع مـن القرآن والسنة فلا يخرج فيما يصل إليه من نتائج أو يسـتخرجه مـن مسـائل او

يصطنعه من مناهج عن هدى الوحى المعصوم، ومفروض عليه فى اقل الاحوال الا يصطدم مع الوحى فيبتعد عنه وبالتالى يخرج عن إسلاميته.

والاسلام كدين إلهى ينظم حياة الإنسان فى جميع جوانبها وكافة ميادينه يمتلك عنصر الإلزام الذى يفتقده اى فكر آخر فيؤدى إلى التضارب والتناقض، ومن الامثلة على ذلك محاولة الفليسوف الالمانى "كانت" الذى حاول أن يجد بديلا اسماه بالواجب أو الى العقل المجرد الذى رفضه فى البداية، وإن اسماه هذه المرة بالعقل العملى(١) .

وبمحاولة لمعرفة ما قصده بذلك فتضاربت الاقوال والارجح - عندى- انه قصد به الله عز وجل ليعود مرة ثانية للإلزام المعصوم من خلال الوحى الإلهى. ولما كان فكره غير معصوم لأنه لا يرتبط بالوحى الإلهى أدى ذلك إلى غموض حول فهم الواجب الذى يعطى نوعا من الإلزام.

ويلى الوحى الإلهى المتمثل فى القرآن والسنه، المصادر الاخرى للتشريع الاسلامى كالاجماع الذى يعد الصورة الإيجابية للفكر الاسلامى المتمسك بالقواعد الدينية لتجعل منه إلزاما اخلاقيا دينيا يأخذ مكانته من قوله صلى الله عليه وسلم " لا تجتمع امتى على ضلاله"(٢) .

ثم يأتى الاستنباط بالقياس لكشف الاحكام التى لم يظهر حكمها بالقياس على المسائل التى تشبها وظهر حكمها. ويفتح به مجالا للعقل فيما بعد للاتجاه

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ١ ص ٢٢٤،٢٢٠ الترجمة العربية.

(٢) سنن الترمذى، كتاب الفتن باب ماجاء فى لزوم الجماعة.

الفلسفى لدراسة اراء الخصوم والرد عليهم، ولا يسعنى هنا إلا أن انقل كلمات د/ دين محمد محمد ميرا صاحب(١) " نحن نعلم يقينا أن الفكر الاسلامى غير الاسلام، وليس هو معصوما كعصمة الوحى، لكن ضوابط الوحى التى تحكم هذا الفكر والهداية الإلهية التى يستهدى بها تعكسان عليه آثارهما فتحفظانه من الزلل والارتكاز إلى الهوى.

- وهذه الضوابط لم تعم جميع انواع الفكر الاسلامى ولكن اختصت بالجانب التشريعى أكثر من غيره، وفتح الجانب الفلسفى مجالا يبعد فى بعض فترات التاريخ عن ملك الضوابط - فالفكر الاسلامى اذن فكر متفرد ليس فقط لإعتصامه بالوحى فى إنطلاقاته وتوجهاته لأمتلاكه عنصر "الالـزام" من دون سائر انواع الفكر البشرى. أ. هـ.

من هنا جاءت قوة الاسلام والمسلمين فى تمسكهم بالعقيدة التى كانت عقبة أمام اطماع الطامعين وقد عبر عن تلك العقبة القسيس زويمر رئيس مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ م حيث قال : " لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد اعظم من عقيدة الدين الاسلامى الذى اقتحم قارتى اسيا وافريقيا وبث فى مائتى مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده واحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية "(٢) .

---

(١) مفهوم الفكر الاسلامى بين الحقيقة والواقع ط سنة ١٩٨٩م ص ١٦.

(٢) اساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى د/ على محمد جريشه، د/ محمد شريف الزيبق ص ٣٣.

ملحوظة : مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ يدرس عقائد الشعوب الاسلامية ويضع توصيات تجدد الاسلوب الامثل للتغلغل فى عقائد تلك الشعوب لازالتها أو على الاقل زعزعتها فى نفوسهم.

وتدل هذه العبارة بوضوح أن الغزاة ادركوا القوة التى بثها الاسلام فى نفوس اتباعه وانهم متى تمسكوا بعقائدهم ومبادئهم لن تستطيع قوة ان تقف امامهم او تقهرهم... فبدأوا يخططون للسيطرة على العالم الاسلامى فإذا كانت قوة السيوف عجزت عن اقتلاع العقائد الاسلامية الاصيلة المتمسكة بالواحى الإلهى من قلوب وعقول المسلمين فى ارجاء العالم الاسلامى.

بدأ الطامعون دراسات مستفيضة عن كل شئ فى العالم الاسلامى تاريخه .. حياته .. مصادر العيش (اقتصاده) .. وسائل الترفيه .. العادات والتقاليد .. العرف .. احلامه .. أدبه .. كل ما يتعلق به.

كل هذه الدراسات ليحددوا طريقة التعامل مع تلك المجتمعات ومحاولة زرع افكار اجنبية معينة. وادركوا إمكان احداث التأثير المطلوب عن طريق التشكيك فى مبادئ وعقائد المسلمين بدعوى عدم ملائمتها لظروف العصر وطبيعته، وإلى جانب ذلك ادركوا ما للنوازع الدينية من اثر على النفوس فلجأوا إلى التبشير والتنصير وارادوا بذلك أن تزول شخصية المسلم الملتزم بأوامر الله عز وجل، وفصل الدين عن الدولة، وزرع فكرة الصراع بين العقل والدين ليفتح بذلك ميدانا فسيحاللتنافس والفتن، بل محاولة صرف الناس عن الامور الجوهرية الى قضايا فرعية ومجادلات لا طائل منها، وتعد الامر ذلك بإقناع الناس ان التمسك بالدين يعد تخلفا .. إلى غير ذلك من الاخطاء البينة التى يحاولون بها إفساد المجتمع حتى تسهل السيطرة عليه وتتحول الشعوب الاسلامية إلى التقليد واستيراد العقائد والافكار الاجنبية فتقع فى قبضة المستعمر ، وتضعف مقاومتها له.

فالغزو الفكرى طريقا اتبعه المستعمر ليحدث تاثير اعمق فى نفوس الشعوب المغزوه ويمتد هذا التأثير مئات السنين .. حيث تفقد الشعوب إيتمائها الدينى والوطنى بل وتراثها الحضارى الذى تقوم عليه مقاومتها الشخصية التى تميزها عن اى شعب اخر وقد تفقد لغتها القومية وتتمسك بلغة وحضارة المستعمر التى تكون صورة ظاهرية براقه فقط وبلا عمق.

وبذلك يكون الغزاه نجحوا فى حقن دماء كثيرة وتوفير نفقات اكثر تتكلفها المعارك العسكرية من معدات وتجهيزات وتدريب.

وإذا كان الغزاة يتكلفون الكثير فى تحقيق الغزو سواء كان فكريا او عسكريا فلابد أن هناك دوافع قوية حركت الاطماع الاستعمارية الاولى نحو العالم الاسلامى عامه والوطن العربى خاصة، فما هى تلك الدوافع ؟

يرى الاستاذ إبراهيم خليل أحمد(١) :

" ان دوافع الاستعمار الاوربى الحديث - للعالم الاسلامى عامة - والوطن العربى خاصة - استهدفت اساسا الاستعمار الاستغلالى والاستراتيجى".

ويقصد بالاستعمار الاستغلالى كما يبدو واضحا هو الاستفادة من المواد الطبيعية والبشرية بما يحقق المصالح الاستعمارية، ولا يقتصر على ذلك بل

---

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ص ٩٩ ابراهيم خليل احمد، مكتبة دار الوعى العربى سنة ١٩٧٣م.

يمتد للاستفادة بالموقع المتميز لتلك المناطق لتسهيل تجارته او فتح سوقا لمنتجاته.

وقد لعب موقع العالم الاسلامى بالنسبة لجهات الدنيا الاخرى ادوار عظيمة الأهمية فى تاريخ الحضارة الانسانية، وكانت التجارة البرية من المؤثرات الحضارية والثقافية الهامة التى جعلت العالم الاسلامى يتصل ببعضه البعض وبغيره من اجزاء الدنيا مما نشأ عنه العديد من المشكلات والاطماع الاجنبية فى ادوار الضعف والتفكك.

فإتساع رقعة العالم الاسلامى بين قارات العالم جعله يواجه العديد من التيارات الفكرية، والعقائدية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التى تتحدى مبادئه وقيمه وتحاول أن تزحزحه من الوجود الايجابى الفعال الى مجرد الوجود الصورى الباهت الفاقد لروح الاسلام الحقه ومبادئه السامية بمالها من اثر فى حياة كل المسلمين بما يتحظى الدين الى الانسانية بكل ما اراد الله لها من الخير.

وكان لهذه التيارات اهداف اخرى معادية للإسلام سعت لها عن طريق محاولة اقتلاع العقائد الاسلامية الاصيلة.

فهذا العداء لم يكن صريحا نتيجة لفشل القوة العسكرية او لأن نفقاتها أعلى من اعداد ومعدات وارواح و ....، فخطط الاستعمار للنيل من هذه القوة الايمانية بمحاولة إفساد الاسلام والتراث الاسلامى واضعاف المسلمين.

وكان الطريق إلى ذلك هو الغزو الفكرى، بإستخدام اساليب ملتوية تدعى انها تهدف إلى التقدم والرفعة والحضارة الإنسانية المؤسسة على المادة وحدها، واظهار المفارقة بين الغرب والشرق وما قامت عليه الحضارة الغربية المتقدمة وتأخر العالم الاسلامى القائم على اساس من التواكل - فى زعمهم - ومحاولة اظهار ان سبب التقدم هو مرونه الديانة الغربية (المسيحية) وقدرتها على استيعاب آمال الإنسان أما الاسلام - فهم يرونه - دين المتخلفين المنتظرين للمدد الإلهى.

فقام عملاء الاستعمار يروجون لتلك الادعاءات عن طريق محاولات الاستشراق والتغريب، ومحاولة صبغ الحياة الاسلامية بصبغة غربية علمانية، أو شرقية اشتراكية فى الثقافة والحياة الاجتماعية كما حاولوا نشر تيارات فكرية فى صورة مذاهب فكرية متبلورة مثل الماركسية والوجودية.

ومن امثال هؤلاء العملاء السيد أحمد خان فى الهند، وبعده حركة ميرزا غلام احمد(١) .

ولم يقف المسلمون مكتوفى الايدى امام تلك الحركات الاصلاحية التى تظهر الاسلام من تلك الدسائس والمؤامرات والبدع التى عمد عملاء الاستعمار إلصاقها بالدين دون وجه حق.

ومن امثال تلك الحركات الاصلاحية حركة جمال الدين الافغانى، والشيخ محمد عبده وغيرهما كثيرون.

---

(١) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار.

وبذلك يكون الاستعمار الغربى للشعوب الاسلامية قد خلق اتجاهين فكريين متقابلين :

* اتجاه لحمايته : وهو الاتجاه الفكرى الممالئ للأستعمار.
* اتجاه اخر لمقاومة الاستعمار متمثل فى الحركات الاصلاحية.

وسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين في إسلامهم

ادرك الاوربيون أن الاسلام "هو الدين الوحيد الذى امكن انتحـال النـاس له زمرا وافواجا. وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إلـى التديـن بـه كـل ميل إلى اعتناق دين سواه، ... ثم هـو قـائم الدعـائم ثـابت الاركـان فـى أوربـا عينهـا، اعنـى فـى الاسـتانه العليـة، حيث عجـزت الشـعوب المسـيحية عـن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذى يحكم منه علـى البحـار الشـرقية ويفصل الدول الغربية بعضها عن بعض شطرين "(١) .

لقد ادرك المستعمرون ان السر وراء إنتصارات المسلمين ليس هو القوة المادية التى اخترق بها المسلمون اسيا وشمال افريقيا ومناطق كثيرة من العـالم بلهو عقيدة الاسلام التى تجعل من الموت ثمنا رخيصا لإرضاء الله ورسوله.

إن الايمان كان دائمـا امـرا حاسـما فـى المعـارك العسكرية لأن المسـلم يدخل المعركة ولديه الرغبة فى الفوز بأحد الحسنيين النصر او الشهادة.

---

(١) جريدة المؤيد ترجمة لمقال المستشرق هانوتو سنة ١٩٠٠م - ١٣١٧ هـ نقـلا عن الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى ص ٢٥، ص ٢٦.

فإذا كانت الجيوش تنتصر بالقوة العسكرية المتفوقة فى العدة والعتاد، قال تعالى : (واعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل..)(١) ولكن تلك القوى ليس لها هذا التأثير المرجو منفرده عن الايمان.

فقوة الاسلام كامنه فى ايمان اتباعه الذين تجمعهم رابطة واحدة، وكلمة واحدة، وصوت واحد " الله اكبر ".

إذن ما يخيف أوربا هو تلك القوة الكامنة فى الاسلام كما قال جاردنر : "إن القوة التى تكمن فى الاسلام هى التى تخيف اوربا"(٢) .

وهكذا توصل المستعمرون إلى أن الحرب الحقيقية التى يجب أن نخوضها لابد أن تكون ضد الاسلام ذاته كدين وعقيدة ومنهج حياة ونظام اجتماعى وسياسى، فلا سيل للمستعمر - إن كان يريد ان يستقر فى تلك المناطق التى استولى عليها - إلا بزعزعة الإسلام فى قلب المسلم، وفى نظام الحياة هو الهدف الذى ينبغى أن يكون اساسيا وفى مقدمة الاهداف للسيطرة على المسلمين.

وفى ذلك يقول المستشرق الفرنسى هانوتو : " لا تظنوا ان هذا الاسلام الخارجى الذى تجمعه جامعة فكر واحد، غريب عن اسلامنا (فى تونس والجزائر) ولا علاقة له به، لأنه وإن كانت البلاد (الاسلامية) التى تحكمها شعوب مسيحية ليست فى الحقيقة بـ " دار إسلام " وإنما هى "دار حرب" فإنها

---

(١) الاية ٦٠ سورة الانفال.

(٢) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية د. عمر فروخ، و د. وليد الخالدى.

لا تزال عزيزة وموقرة فى قلب كل مسلم صحيح الايمان .. والغضب لايزال يحوم حول قلوبهم كما تحوم الاسد حول قفص جلست صغارها، وربما كانت قضبان هذا القفص ليست متقاربه ولا بدرجة من المتانة تمنعها عن الدخول إليهم من بينها".

... ولكن رابطة الاخاء الجامعة لأفراد العالم الاسلامى بأسرة كاملة بالرياسة ... فمن مسألة علاقتنا مع الاسلام تعد المسألة الاسلامية والمسألة الدينية والمسائل الداخلية والخارجية شديدة الاتصال بعضها ببعض، وهذا ما يجعل حلها صعبا ومتعذرا ..."(١) .

وهنا فكر المستعمرون فى الوسائل التى يحاولون بها زعزعة الايمان، ومحاولة هدم العقيدة، وإقتلاع ذلك اليقين الراسخ الذى ظهر اثره على عادات وتقاليد المسلمين ونظم حياتهم.

فوجدوا أن أفضل الرسائل لذلك هى الغزو الفكرى الذى يحاول احلال افكار اجنبية معينة فى إنسان او مجتمع محل الافكار الراسخة فى هذا الإنسان او المجتمع، ويؤدى ذلك إلى امرين تبعا لتلك الافكار :

اولا : إذا كانت هذه الافكار افكارا علمية وعادات نافعة، أدى ذلك إلى احداث التقارب الفكرى بين الامم، ويساعد على ارتقاء الامم وتقدمها.

---

(١) تاريخ الامام محمد عبده جـ ٢ ص ٤٠١، ص ٤٠٧.

ثانيا : إذا كانت هذه الافكار تحاول التشكيك فى مبادئ المجتمع، وتوجيه الناس إلى الاقتناع بمبادئ اخرى لاقتلاع العقائد الاصلية التى يقوم على اساسها بهدف مسخ شخصية المجتمع وزوالها حتى ينصهر فى شخصية المستعمر فتفقد هذه المجتمعات روح المقاومة، ويتحقق للغزاة مالم تمكنه منه القوة العسكرية الصريحة التى تكلف اموالا طائلة وتزهق ارواحاً كثيرة.

ومن الملاحظ أن هذا التأثير لا يحدث سريعا، وقد وضع الغزاة خطوطا ثابتة لتحقيق ذلك وقبل ذلك لابد لوضع الاسس التمهيدية حتى لا تتعثر الافكار الجديدة التى يريدون زرعها فى المجتمعات.

وأهم هذه الاسس هى :

١- حركة الاستشراق .

٢- حركة تغيير الحياة فى المجتمع، بنقل حضارات اوربا الآريه المسيحية الى العالم الاسلامى، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التوجيه الفكرى للمسلمين للقيام بحركة تقدمية فى الاسلام تبغى تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الاسلامية عن طريق تغيير الفلسفة الاساسية للنظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى بإدخال ما يسميه بنظم الاصلاح الحديثة، وابراز القوة المادية للحضارة الغربية، ومحاولة التشكيك فى قدرة الدين على مواجهة الحياة الحديثة، فإنتشرت إدعاءات الاستعمار بأن الدين مخدر الشعوب لمحاولة عزل الدين وفصله عن الدولة وعلمنة الشعوب الاسلامية.

ورأى الاستعمار أن ذلك يمكن أن يتم بطريقتين :-

- **اضعاف الإنتماء الدينى بإبراز الخلافات المذهبية :** وتأكيد وإظهار الفجوات والثغرات بين طوائف المسلمين وشعوبهم. وتشجيع قيام فرق دينية منحرفة تشرح المبادئ الاسلامية شرحا يشوهها وينحرف بها عن اهدافها الاصلية. وذلك كله بالاضافة الى تمجيد القيم المسيحية وإظهار قدرتها على التكيف وقيام الحضارة الغربية والنظم السياسية والسلوك الفردى للشعوب الغربية.

واهم تلك الحركات التى قام بها ضعاف العقيدة الحركة الاحمدية والبابية والبهائية والقاديانية.

- **جعل الشيوعية اساسا للحياة فى المجتمعات الاسلامية.**

واذا كان سعى الاستعمار نحو اضعاف المسلمين اتفق مع سعى آباء الكنيسة فى الهدف فهو اتفق معه ايضا فى الوسيلة من اجل التخطيط بإسلوب دقيق طويل المدى ولكنه محكم ومرن يسمح بحرية الحركة والمراوغه والتشكل تبعا لظروف كل منطقة ومدى الوعى الاسلامى فيها ولا يتم وضع الخطط وتعديلها الا عن طريق دراسة دقيقة لكل ما يدور فى هذه المجتمعات ... من هنا كانت اهمية الاستشراق.

فما المقصود بالاستشراق ؟

اولا : المفهوم اللغوى للإستشراق :

الواضح ان كلمة الاستشراق مشتقة من مادة (شرق) يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت(١) .

والجدير بالذكر ان الكلمة التى نبحث عن مفهومها اللغوى لم ترد فى المعاجم المختلفة(٢) غير ان هذا لا يمنع الباحث من الوصول الى معناها الحقيقى استنادا إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق، حيث يبدو ان معنى (استشراق) ادخل نفسه فى اهل الشرق وصار منهم(٣) .

ثانيا :المفهوم العلمى :

قد جاء فى المصادر اللغوية الحديثة تفسير لكلمة الاستشراق بأنها : طلب علوم الشرق ولغتهم (مولدة عصرية) يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجه(٤) .

وعرف المستشرق : هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه وهذا هو رأى علماء الغرب فى معنى الاستشراق والمستشرق، أما رأى علماء العرب فى مفهوم الاستشراق وتعريف المستشرق، فلا نجد

---

(١) المعجم الوسيط – جـ ١ ص ٤٨٢ مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٠م.

(٢) لسان العرب لابن منظور م١٠ ص ١٧٣، ١٧٩، القاموس المحيط، مجد الدين القيروزبادى جـ ٣، ص ٢٤٨، ٢٤٩، تهذيب اللغة، ابو منصور الازهرى جـ ٨ ص ٣١٦، ٣٢١.

(٣) فلسفة الاستشراق واثرها فى الادب العربى المعاصر د. احمد سمايلوفيتش ص ٢٢.

(٤) معجم متن اللغة للشيخ احمد رضا جـ ٣ ص ١١١.

خلافا إلا لفظيا. ومن هذه الاقوال : يقول الشيخ احمد الشرباصى "المستشرقون قوم من اوربا نسبوا انفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها فى اغلب الاحيان بالبحث فى التاريخ والدين والاجتماع ولكل منهم لغته الاصلية التى رضع لبانها من امه وابيه ومجتمعه ... ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الاصليه، ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه"(١) .

ويشير حسين هراوى إلى علم الاستشراق بقوله : "وعندى أن الاستشراق مهنه وحرفه كالطب والهندسة والمحاماه، وهو اقرب الشبه الى مهنه التبشير، ولا يخفى عليك أن التاريخ الاسلامى ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول منه : هو الاسلام من حيث هو دين وعناصره القرآن والحديث وحياة سيدنا محمد عليه السلام.

القسم الثانى منه : تاريخ الدول العربية التى نشأت وعاشت فى الاسلام وهذا القسم قد خدمه المستشرقون حقا لانه نوع من المباحث التاريخية الحرة .

أما القسم الاول منه، فهو بيت القصيد، ولا يتصدى له كل المستشرقين والذين يتصدون له ترى كلامهم مملوء بالتشكيك والاستنتاج الخاطئ والغمز واللمز، إن لم يكيلوا التهم جزافا، ويرموا الدين الاسلامى بما شاعت عقائدهم وفائدتهم المادية(٢) .

---

(١) التصوف عند المستشرقين احمد الشرباصى ص ٦، ص ٢٧، سلسلة الثقافة الاسلامية مطبعة نور الامل سنة ١٩٦٦م.

(٢) المستشرقون والاسلام حسين هراوى مطبعة المنار سنة ١٩٣٦م.

بينما يرى مالك بن نبى انه (يجب اولا ان نحدد المصطلح ، اننا نعنى بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامى وعن الحضارة الاسلامية ثم علينا ان نصنف اسماءهم فى شبه ما يسمى طبقات على صنفين :

(١) من حيث الزمن : طبقة القدماء مثل جريرد وربياك، والقديس توما الاكوينى وطبقة المحدثين مثل كارادوفو وجولد سيهر.

(٢) من حيث الاتجاه العالمى نحو الاسلام والمسلمين فى كتابتهم : فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.

وهكذا وعلى الترتيب يجب ان تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق(١) .

وقد اجرى العلماء الباحثون لمفهوم الاستشراق العلمى موازنه بين علماء الغرب والعرب وصلوا من خلال هذه المناظرة الى النتائج الاتيه :

اولا : الاتفاق التام بين العلماء على كون الاستشراق علمامستقلا يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

---

(١) انتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الاسلامى الحديث، ملك بن نبى ص ٥، ٦، دار الارشاد بيروت ط١ سنة ١٩٦٩م.

ثانيا : ان المستشرق لابد له من معرفة كاملة بأحد اللغات الشرقية وآدابها، ولم يخالف هذا الرأى سوى على حسن خربوطلى حيث قال : "انه ليس من الضرورى ايضا ان يتحدث باللغات الشرقية، وإن كان الإلمام بها وإجادتها يعينه كثيرا فى دراسته وابحاثه"(١) .

ثالثا : اهتمام علماء الغرب بالتأريخ للعلم على عكس علماء العرب حيث لم يشر احد إلى هذه الناحية إلا من بعيد جدا.

رابعا : اتهم بعض علماء العرب علم الاستشراق واصحابه صراحة بالتطرف والتعصب، وذلك لصلته الوثيقة بالتبشير ومهمته.

خامسا : اشار الجميع إلى الدور الذى لعبه المستشرقون فى نقل الحضارة خاصة الحضارة الاسلامية وحضارة الشرق بوجه عام التى اثرت فى الغرب ونهضته العلمية والفكرية على حد السواء.

تاريخ الاستشراق :

يرى أربرى أن : "أول استعمال لكلمة مستشرق رأيناه فى سنة ١٦٣٠م حيث اطلق على احد اعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفى سنة ١٦٩١م وجدنا انتونى وود يصف صمويل كلارك بأنه "استشراقى نابه، يعنى بذلك انه عرف بعض اللغات الشرقية، وبيرون فى تعليقاته Childe harold Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتون ومعارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق، وفى

---

(١) المستشرقون والتاريخ الاسلامى/ على حسن الخربوطلى ص ٢٥،٢٦، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية.

خلال المجادلة التعليمية بالهند التى حسمها تقرير ماكولى الشهير سنة ١٨٣٤م كان المستشرقون هم الذين نادوا بالتعليم والادب الهنديين(١) .

ويذكر رودنسون فى كتابه صورة العالم الاسلامى فى اوربا(٢) " ولد الاستشراق وظهرت كلمة مستشرق فى اللغة ا لانجليزية حوالى عام ١٧٧٩م .. كما دخلت كلمة الاستشراق على معجم الاكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٧م، وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون بعد من العدد بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات او مجلات متخصصة فى بلد واحد أو شعب واحد او منطقة واحده من الشرق ومن ناحية اخرى كثيرا ما كان أفق هؤلاء المستشر قين يشمل عديدا من المجالات بطريقة غير متوازية فى عمقها، ومن هنا بدأ تصنيفهم "كمستشرقين" وشهدت فكرة الاستشراق تعمقا كبيرا إلا أنها تعرضت كذلك لاضرار وندوب، وكان الشرق يأخذ مكانه فى مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب الغرب فى افق شمولى.

مما سبق يتضح أن وضع تاريخ محدد لبداية الاستشراق يعد من الامور العسيرة لأسباب كثيرة منها اختلاف فى بداية الاستشراق من بلد إلى بلد خاصة عندما بدأ الامر بطريقة فردية غير مدروسة من الحكومات إلا أن انتشار حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية للاستفادة بعلوم وفلسفات العرب أدى لزيادة الاهتمام بعلوم الشرق. فوفد بعض الرهبان منذ القرن العاشر الميلادى، لدراسة تلك الاصول العربية ليعرفوا الاسلام عن

---

(١) المستشرقون البريطانيون لأربرى ص ٨،٧ ترجمة محمد الدسوقى النويهى، مطبعة وليام كولينز بلندن.

(٢) نقلا عن فلسفة الاستشراق ص ٢٥ د/ احمد سمايلوفتش.

قرب ومن هؤلاء يوحنا الدمشقى، والراهب الفرنسى (جربرت) الذى انتخب بابا لكنيسة روما سنة ٩٩٩م، والراهب بطرس المحترم - وجيراودى كريمون وغيرهم.

وبعد عودتهم إلى اوطانهم (فى اوربا) فتحوا المدارس والمعاهد فى انحاء اوربا لتدريس وترجمة الكتب العربية لمدة ستة قرون، كما كانت اساسا لقيام النهضة الاوربية(١) .

بينما نجد العديد من علماء الاستشراق الغربين أمثال فرودى بارت، والاب لامنس، وبرناردلويس ... وغيرهم رأو أن بداية الدراسات العربية والاسلامية ترجع إلى القرن الثانى عشر اذ فيه ترجم القرآن إلى اللاتينية.

فلقد رأى البعض منهم ان بداية الاستشراق قبل الحروب الصليبية، بينما ارجع اخرون الاستشراق إلى مابعد الحروب الصليبية(٢) .

وإذا كان هذا هو رأى علماء الغرب فى التأريخ لنشأة هذا العلم، فإن علماء العرب حاولوا ايضا تحديد تلك الفترة الزمنية التى نشأ فيها العلم.

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ص ١٦ د/ مصطفى السباعى، والاسلام والتيارات المعاصرة قضايا ومواقف د/ عبد المعطى بيومى ص ١٢٧.

(٢) فلسفة الاستشراق ص ٥٥، ٥٩.

رأى علماء العرب :

يكاد يجمع علماء العرب على أن نشأة الاستشراق كان فى حوالى القرن العاشر الميلادى ولكن البعض منهم رجع أن يكون الاستشراق فى القرن الثالث عشر الميلادى، بينما نجد البعض الاخر وجد ذلك عسيرا، وهذه الصعوبة نشأت من صعوبة تحديد مفهوم الاستشراق، وفى هذا يقول على حسن الخربوطلى : "وإذا كان من العسير، كما رأينا، وضع تحديد ثابت لمفهوم كلمة (شرق) فإنه من الصعوبة بمكان ايضا تعريف المستشرق تعريفا قاطعا"(١) .

نخلص من ذلك إلى حصول اتفاق بين علماء الاسلام والغرب على صعوبة وضع تاريخ محدد لبداية الاستشراق لاسباب متعددة أهمها على الاطلاق حصوله فى البداية بصورة فردية ولأهداف شخصية كحب العلم لذاته والانتماء الوطنى والرغبة فى الاستفادة من علوم العرب وفنونهم لبناء حضارة على انقاض حضارتهم المنهاره ثم يأتى الدافع الاستعمارى الاستغلالى والدافع التبشيرى لنشر المسيحية.

وبناء على ذلك فقد توصل الباحثون إلى أن الامتداد التاريخى للاستشراق عبر التاريخ الانسانى يمتد إلى ألف سنة وبالاضافة لذلك امتداد اخر جغرافى شمل الدول الغربية التى كان لها دورها فى تغيير مسار الحياة والحضارة الانسانية فوق المعمورة شمل القوتين العظميتين قديما وهما المملكة المتحدة وفرنسا ثم اتسع شرقا وغربا ليشمل دول اوربية كثيرة ليصل به

(١) المستشرقون والتاريخ الاسلامى ص ٢٥.

الركب الى العصر الحديث حيث الاتحاد السوفيتى وامريكا ليكون لهما جهدا كبيرا ومؤثرا فى حياة الانسانية سواء بالتشكيك فى اهمية الدين بالنسبة لقيام الدولة او بالنسبة للإنسانية كلها، بالدعوة الى العلمانية او التغريب.

ويصدق هنا القول بأن الهدف من تلك الدعوات ان "ترسخ فى وجدان المسلم انه لا يستطيع ان يعيش عيشة عصرية راقيه وهو متمسك بالشريعة، وأن الاسلام إذا كان صالحا لمواجهة حالة البداوة التى وقعت فى الماضى، فإنه غير قادر على مواجهة العصر الحاضر بتعقيداته وظروفه المركبه، ومن ثم فإن على المسلم ان يختار بين الدين والحضارة، وما يؤدى إليه احدهما من جمود وما يؤدى إليه الآخر من رقى وتطور ومدنية"(١) .

وعلى النقيض من ذلك فإن هناك بعض الجهود العظيمة والمنظمة والمتكاملة التى قام بها المستشرقون فى مجال الدراسات الاسلامية والعربية جعلت لهم مكانه كبرى، ومن ذلك العناية الفائقة بالمخطوطات العربية التى جلبت إلى اوربا وفهرستها فهرسه علمية نافعة، كما قاموا بأعمال التحقيق والنشر والترجمة، كما اهتم بإصدار ترجمات للقرآن الكريم [وإن كانت للمسلمين بعض التحفظات على ماجاء فى مقدمات الكثير من هذه الترجمات والتعليقات التى صححت هذه الترجمات](٢) .

---

(١) نظرات فى حركة الاستشراق د/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور ط سنة ١٩٩٠ ص ٤٢.

(٢) الاسلاب فى تصورات العرب د/ محمود حمدى زقزوق ط ١٩٧٨ ص ١٠،١١.

ويظهر لى أن الاستشراق لم يكن محدد الاهداف والوسائل منذ البداية ولكن اهدافه ووسائله تحولت فى كل مرحلة حتى تبلورت واخذت صورتها الكاملة فى العصر الحديث، وعمد زعماؤها الى مدها بأهم الدعامات التى تحفظ لها استمرارها وهى المرونة التى تمكنه من التغلغل داخل المجتمعات المختلفة والثقافات والعادات و ... على اختلافها وتنوعها.

مراحل الاستشراق :

فإن العلماء والباحثين يرون ان حركة الاستشراق مرت بثلاث مراحل ولكن الانتقال لهذه المراحل لم يكن فجائيا وإنما جاء بطريقة تدريجية متداخلة وهذه المراحل هى :-

مرحلة التكوين :

وهى مرحلة ما قبل الحروب الصليبية، وأهم ما يميز هذه المرحلة فى بدايتها التعصب الدينى ضد الاسلام والمسلمين واستمر الحال على ذلك حتى جاء عصر الامبراطور شارلمان الذى يحكى التاريخ عن اتصاله بالخليفة هارون الرشيد وقد كان إلمام شارلمان بحضارة الشرق وتقدمه العلمى مما حفزه على ان يسلك طريق العرب فى تقدمهم، فقرب احد علماء الغرب المسلمين اسمه (الكوان) واسس مدارس مختلفة ومجامع علمية على غرار المدارس العربية وأمر بتدريس العلوم الحديثة فيها ووضع مناهج مفصلة لتدريس الجغرافيا والموسيقى والطب والفنون.

ولكن وفاة الامبراطور شارلمان مكنت رجال الكنيسة من إلغاء تلك الدراسات، ولم يستمر الحال على ذلك طويلا فسرعان ما تولى شارل حفيد شارلمان وأعاد الامر الى ماكان عليه ايام جده ولم يلتفت لغضب الكنيسة،

فاستدعى عالما انجليزى يدعى (جون اريجينا) كان ملما بالعربية والعبرية فوضع برامج ثقافية تتلخص فى الآتى :

١- ترك مهمة التدريس فى المدارس الاوربية الى اساتذة من العرب واليهود الملمين بالثقافة العربية، او اوربيين اتموا دراستهم فى المدارس العربية فى اسبانيا.

٢- ارسال اكبر عدد من الطلاب الغربيين الى الاندلس لتلقى العلم على ايدى العرب.

٣- ترجمة اهم الاثار العربية المتصلة بالآداب والعلوم والفنون والطب والفلسفة الى اللغة اللاتينية التى كانت لغة الثقافة فى ذلك الوقت(١) .

ومما ساعد على ازدهار تلك العلوم جلوس البابا سلفستر الثانى فى نهاية القرن التاسع عشر على كرسى البابوى، وكان ممن درس فى الاندلس فأصدر قرارا بترجمة الاثار العربية إلى اللاتينية بل انه بدأ بنفسه لبعض كتب الفلسفة والرياضة والطبيعة مما شجع الرهبان (والرهبان فقط) على ترجمة ا لكتب الشرقية المدونة فى مختلف الموضوعات وترجمتها الى اللاتبنية ثم كتابتها بأيديهم فلم تكن الطباعة ظهرت، واثار هؤلاء الرهبان فى مختلف العلوم تظهر قيمة المجهودات التى بذلوها فى سبيل العلم وتهذيب الفكر الانسانى فأفاد به الشرق والغرب على السواء.

---

(١) صور ملهمة من واقع المجتمع العربى ص ٢٦٤، ٢٦٥ حسن عون.

مرحلة التقدم :

وهى المرحلة التى جاءت بعد الحروب الصليبية، وهى تعد من النتائج المباشرة لدراسة الشرق التى أدت إلى انتصاره على اعتى الجيوش الاوربية، فكانت بمثابة البحث عن اسباب الهزيمة واسباب النصر، فلابد للعرب من امتلاك شئ لا يملكه الغرب فما هو ذلك الشئ ؟

هل هو العقلية العربية ؟

هل هو قوة الايمان بدينهم ؟

ووجد الغرب انه لا مفر امامه من دراسة الفكر العربى بكل ما يشتمل عليه من العلوم والفلسفات والطبيعيات والعادات والتقاليد.

ووجد الاوربيون ان قوة الايمان كانت حافزا على العلم والدراسة والمجاهدة اقوى من الجنس واللغة كما ادركوا ان هذا الدين الذى يؤمن به العرب يمتلك دعامات الاستمرار، ففيه الإلزام الإلهى الذى يجعل المسلم يندفع لأداء الواجب حتى لو كان الثمن حياته، مما زاد الحقد على الاسلام وزاد معه التعصب الدينى.

ووجد الاوربيون أن القرآن يتحدث عن اعجازه وامتلاكه للقلوب والعقول. فقرروا دراسة هذه اللغة ليتمكنوا من فهم القرآن، وقد تمكن بعض الاوربيون من فهم القرآن فهما صحيحا فتركوا عنادهم واعتنقوه، وهناك جانبا منهم فهم لغة القرآن لكنه ابدا لم يفهم القرآن، واستغل هذه اللغة فى مناقشة المسلمين، وهدم قضاياهم الايمانية، وبدأوا يخططون لغزو فكرى مبنى على

الدراسة فعقدوا المؤتمرات(١) ليحددوا الاسلوب الامثل الذى يمكنهم اتباعه في المناطق المختلفة وقد صادف ذلك تدهور حال العرب وحضارتهم مما اتاح لاسلوب المستشرقين فى غزو بلادهم وحضارتهم فكريا فرصة اكبر لتحقيق اهدافهم واطماعهم.

مرحلة الانطلاق :

هذه المرحلة تعد مرحلة انطلاق حقيقية لا للأستشراق فحسب ولكن للعلم وللحضارة الانسانية، لقد عرفت الانسانية فن الطباعة على يد جوتنبرج فى القرن الخامس عشر، وقد خطا هذا الفن خطوات عظيمة فى القرن السادس عشر حيث بدأت الطباعة العربية فى مزاولة مهامها ومسؤليتها فى نقل الحضارة عن طريق تحرك "الدوائر العلمية التى اخذت تهتم بإصدار الكتب المطبوعة "فقد اصبح فى وسع الطباعة العربية فى أوربا ان تستعين فى ١٥٨٦ م بالمطبعة التى انشأها فرديناند دى ميديتش، كاردينال ودوق توسكانيا الاكبر، ولا مرية فى انه قد اتخذ من العمل التبشيرى مبررا لانشائها، واخذت هذه المطبعة منذ البداية فى طبع المؤلفات الطبية والفلسفية لابن سينا، وكتب فى النحو والجغرافيا والرياضيات(٢) . فلاقت المخطوطات العربية اهتماما بالغا من اباطرة الغرب لإقتنائها ثم طبعها على نفقتهم، وبأشراف علمائهم وفى "مقدمة من برز اسمهم فى هذا الميدان الهولندى ترماس فان (١٥٨٤-١٦٢٤)

---

(١) عقد المؤتمرات وتنفيذ بعض المخططات - رجاء الرجوع لكتاب المستشرقون والاسلام د/ ابراهيم عبد المجيد اللبان ص ١١ بتصرف سنة ١٩٧٠م مجمع البحوث الاسلامية، صور ملهمة من واقع المجتمع العربى حسن عون ص ٢٦٧، ٢٦٨، دار المعارف بمصر القاهرة سنة ١٩٦٤م.

(٢) صورة العالم الاسلامى فى اوربا - مجلة الطليعة عدد فبراير سنة ١٩٧٠م ص ٦٧ نقلا عن فلسفة الاستشراق لاحمد سمايلوفتش ص ٧٨.

الذى نشر أول اجرومية عربية، وأولى طبعات النصوص على اساس مناهج البحث اللغوى السليم، جاتوب جوليوس (١٥٩٦-١٦٦٧) وفى النمسا نشر "لى لوران فرانز منتيسكى" معجمه التركى الضخم فى عام ١٦٨٠م، وكثرت كراسى الدراسات الشرقية التى كانت مقصورة من قبل على باريس فدرس رافليجين (١٥٣٩-١٥٩٧) العربية فى لندن لسنوات، واسس اودبان الثامن فى روما عام ١٦٢٧ كلية الدعاية وهى مركز نشط للبحوث، وفتح ادوارد بوكرك كرسيا للعربية فى اكسفورد فى عام ١٦٣٨(١) .

ومن هنا يتضح لنا إن التعمق فى البحث ودراسة نفائس الكتب العربية والشرقية قام بدور ايجابى فعال فى تعميق التفاهم بين الغرب والشرق مما أدى إلى زيادة فى قدرة حركة الاستشراق على الانطلاق.

وتميزت تلك الفترة بأنها كانت تتناول جمع القواميس وكتب النحو العربية ونشر المخطوطات العربية وطبعها قبل أن تطبع فى الشرق ... وبدأت هذه الحركة تأخذ صورة عملية ملموسة فى القرن السابع عشر.

وقد كان للأحداث الدائرة فى الشرق اثرها على حركة الاستشراق حيث دفعت بها إلى طور جديد من اطوارها فأدى ظهور الاطماع الاستعمارية فى المناطق الاسلامية وطرق التجارة الى الهند، إلى تحول مقاليد الامور والقوة الدافعة من التعصب الدينى الى يد الاستعمار التى اخذت تخطط للاستيلاء على تلك المناطق مرة بقوة الجيوش ومرات بإرسال بعثاتها تحت اسماء مختلفة لكى تتعرف على احوال الشعوب العربية وإمكانية احتلال اراضيها، وكثيرا ما نجح

---

(١) نفسه.

الرحالة فى الحصول على معارف جديـدة ونقلهـا الـى بلادهـم وسـاعدهم علـى ذلك واستعانت الدولة العثمانية بكثير من الخبراء الاجانب فى جميع الشئون.

كما كان لحملـة نـابليون علـى مصـر (١٧٩٨م) اى نهايـة القـرن الثـامن عشر اثرها على نشر الكتب العربية، فكان اول اختبار حقيقى لاستعمال اللغـة العربية والمطبعة العربيـة فـى كتابـة المنشـورات الموجهـه للمصرييـن فكـانت الحملة الفرنسية اول مشروع رمى الى تكوين دولة شرقية من الاجزاء العربية التابعة للدولة العثمانية، وقد استغل بونابرت مقومات العروبـة فلجأ إلـى اللغـة العربية فى كتابة منشوراته ولوائحـه، وطبـع كتبـا فـى تعليـم العربيـة وهجائهـا بالمطابع الفرنسية المرافقة للحملة، وشجع العنـاصر العربيـة فـى البـلاد فكـون منها دواوينه وجعلهم اهل مشورته"[١] . ليتقرب لأهل البلاد وليخفف مـن حـدة مقـاومتهم لحملتـه التـى نبهت اوربـا لأهميـة العـالم الاسـلامى فعمـل اصحـاب الأطماع على بسط نفوذهم على تلـك المنـاطق فارسـل جواسيسـه مـن الرحالـة والمستشرقين للتعرف على مايلائم كل منطقة من الوسائل.

تعقيب

إن اختيار الاستشراق والمستشرقين موضوعا لهذه الدراسة كـان نتيجـة لاختلاف اهداف المستشرقون ونتيجة للآثار التى ترتبت عليه واحتوائهـا علـى جوانـب سـلبية اضـرت بتلك المجتمعـات كمـا انـه لـم يخـل مـن الفـائدة التـى استوعبت الحضـارات الشرقية وترجمتها بـل وفهرسـت لهـا وقدمتهـا للإنسـانية لتستفيد منها فى كل بقاع الدنيا، ومهما كـانت تلك الجوانـب الايجـابية منهـا أو السلبية فينبغى على المتلقـى والـدارس لهـا ان يفحصهـا ولا يغـتر بمعسـول مـا

(١) المستشرقون والتاريخ الاسلامى على حسن الخربوطلى ص ٩١.

تعلنه من ثناء على تلك الحضارات او ما تعلنه من عدم الانحياز لفكر بعينه او انها إلتزمت الحيدة العلمية، وقد يكون هذا صحيحا فى بعض المؤلفات، وقد يبعد تماما عن الحيدة فى مؤلفات اخرى.

وكان للمستشرقين عنايتهم الخاصة بالتراث العربى والاسلامى واهتموا بدراسة وترجمة وتحقيق المخطوطات وتأليف دائرة المعارف الاسلامية والفهرسة للمعاجم العربية، كما كان لهم الفضل فى محاولة تقويم التراث العربى الاسلامى ووضع المنهج النقدى للبحث فى التراث العربى والإسلامى... الى غير ذلك من الاهتمامات التى نقلت للفكر الاوربى اعظم ما فى الحضارة العربية والاسلامية والتى لم تقتصر ثمارها على الفكر الاوربى ولكنها ايضا افادت به الانسانية جمعاء.

وإذا كان موضوع هذه الدراسة الاستشراق والفلسفة، فلابد ان الاستشراق كان له دور وعناية بالفلسفة الاسلامية بأقسامها الثلاثة الكلام والتصوف والاخلاق.

فقد اهتم المستشرقون بدراسة مصادر الفلسفة وتاريخها وعناصرها وخصائصها وعلاقتها بالفلسفات القديمة كما اهتموا بدراسة قضاياها مثل الوجود والمعرفة والانسان، وتأثر فلاسفة الاسلام بالقرآن والسنة واثرهما على العقيدة الاسلامية وموقف علماء الكلام من تلك القضايا .

من مؤلفات المستشرقين عن الفلسفة الاسلامية :

- ت. ج. دي بور تاريخ الفلسفة فى الاسلام ونقل هذا المؤلف إلى العربية على يد د/ محمد عبد الهادى أبو ريده (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ط ٤ سنة ١٩٥٧م)، وفى المؤلف دراسة للحكمة الشرقية، المدارس اليونانية وعلاقة الفلسفة بالعلوم العربية مثل علوم اللغة والفقه والعقيدة ثم الادب والتاريخ كما تناول الكتاب الفلسفة الطبيعية وتأثر بعض اعلام الفلسفة الاسلامية بفلاسفة اليونان فدرس الكندى والفارابى، وابن مسكويه، وابن سينا، وابن الهيثم والغزالى، وابن باجه، وابن طفيل، وابن رشد، وانتهى بدراسة ابن خلدون وفلسفته وختم بالعرب وفلسفة النصرانية فى القرون الوسطى.

واود هنا ان أؤكد على العلاقة التبادلية او ابراز الفائدة المزدوجة من التأليف على الفلسفة الاسلامية بلغه اوربية تفيد الاوربيين ثم الترجمة والتعليق للمؤلف إلى العربية فتحصل الفائدة للعرب ايضا .

– **المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية** تأليف ليون جوتييه، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى (دار الكتب الأهلية الطبعة الاولى سنة ١٩٤٥م) واهتم بدارسة العقلية السامين، الآربه، الفلسفة اليونانية ، وشخصيات فلسفية كأبن رشد، ومشكلة التوفيق بين الدين والفلسفة فى ابحاثه الفلسفية.

– **تاريخ الفلسفة الاسلامية :** تأليف هنرى كوربان، ترجمة نصير موره وحسن قبيسى، مراجعة وتقديم الامام موسى صدر والامين عارف تامر (منشورات عويدات، بيروت الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦، وبحث فيه مؤلفه فى الفلسفة الاسلامية من بدايتها حتى وفاة ابن رشد، واشار إلى الفكر الشيعى والفلسفة النبوية، وعلم الكلام السنى، فى الفلسفة وعلوم الطبيعة، والفلاسفة المتأثرون بالفلسفة اليونانية، التصوف واعلامه .. وانتهى بالفلسفة العربية فى الاندلس واختتم بابن رشد.

- **فى التصوف الاسلامى :** تـأليف ر. أ. نيكلسون . ترجمة د/ ابو العلا عفيفى (لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٩م، وتحدث د/ أبو العلا فى مقدمته لـه فى عناية المستشرقين بدراسة التصوف الاسلامى فى القرن التاسع عشر، واشار إلى ابحاث ثولك فون كريمر دوزى، جولدزيهر، وبراون هارتمان ماسنيون بلاسيبوس، ونيكولون وغيرهم، وقد تحدث نيكلسون عن تاريخ التصوف وتطوره، والنظريات المختلفة التى قيلت فى اصل التصوف، والزهد فى الاسلام والطرق الصوفية والشعر الصوفى، أهداف التصوف الأسلامى، نظريات المتصوفه المسلمين فى الحقيقة المحمدية واقوالهم فى حب النبى عليه الصلاة والسلام، وشفاعته، كما ذكر اسماء لبعض اعلام التصوف مثل معروف الكرخى، ذو النون المصرى، البسطامى، ابن الفارض، الحلاج، الغزالى، جلال الدين الرومى وغيرهم.

- **عرض كتاب " الغزالى " :** تأليف البارون كارادفو نقله إلى العربية عادل زعيتر راجعة محمد عبد الغنى حسن (دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه سنة ١٩٥٩م).

من هو البارون كارا دى فو ؟

كارا دى فو هو علامة فرنسى ولد سنة ١٧٦٧م، درس العربية ودرسها فى المعهد الكاثوليكى بباريس وعنى بالرياضيات والفلسفة والتاريخ اكثر ما عنى.

مؤلفاته :

مؤلفاته كثيرة فى ميادين مختلفة منها الرياضيات وعلم الفلسفة (باريس ١٨٩١م) ومحاضرت فى العربية (١٨٩١م)، والرسالة الشرقية فى النسب

التأليفية لصفى الدين بن فاخر البغدادى (المجلة الاسيوية) ثم على حده (باريس ١٨٩١م) ولخص صفه الزامر لابولونيوس لمترجم مجهول (المجلة الاسيوية ١٨٩١م) وشرح الكروبات لينودوسيوس بتصحيح يحيى بن محمد المغربى (١٨٩١م) ونشر ملخصا فى الساعات المائية لارشميدس بحيره والقرآن (١٨٩٨م).

الغزالى (١٩٠٢م) - ابن سينا (مجموعة كبار الفلاسفه)
حكمة الاستشراق استنادا إلى السهر وردى(١٩٠٢م)
وترجم التنبيه والاشراق للمسعودى.
فصول من الحكمة لابن سينا (١٩٠٣-٣٧).
صنف كتاب فى ابن سينا (١٩١٠م) وآخر عنوانه مفكروا الاسلام فى خمسة اجزاء وغير ذلك كثير(١) .

- يحتوى الكتاب على ٢٦٤ صفحة بالبنط الصغير وهو مؤلف من عشرة فصول ويرى المؤلف ان اهمية الكتاب ترجع إلى "ان روح المحمدى متمثلا فى ايامنا، ولذا فمن الضرورى أن يبحث عنهم كل من يريد ان يكسب معرفة تامه عن روح الاسلام وحياته الداخلية"(٢) .

- **اما الفصل الاول وعنوانه علم الكلام قبل الغزالى :**

ويتناول فيه المؤلف دراسة لتاريخ نشأة المذاهب الفكرية التى بدأت بالاهتمام بكل ما يتعلق بالقرآن لتيسير فهمه واستنباط الاحكام، فأهتموا بدراسة

---

(١) المستشرقون جـ ١ ص ٢٦٣.
(٢) الغزالى كارادفو ص ٩، ١٠.

كل ما يتعلق بلغة القرآن كالنحو والفقه والتفسير، كما اهتموا بدراسة تاريخ الفقه فى الاسلام لاستنباط الاحكام، كما اهتم المسلمون بتدوين الاحاديث التى تصنع احكامالما لم يوجد له نص فى القرآن كما اهتموا بنقد الاحاديث وتصنيفها تبعا للعناوين العامة. ثم عمد العرب الى نقل الاحكام بداية من عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فالتابعين ... ثم اجماع المسلمين، دور الإمام مالك بن انس والبخارى(١) . ثم يحدثنا المؤلف عن وجود الوضع فى الحديث رغم دقة الامام مالك والبخارى(٢) .

- ويتناول المؤلف موضوع على الكلام ، فيعرفه ويذكر تاريخ نشأته وكيف ظهرت الفرق الاسلامية واشهر رجالها وتأثرهم بالفلسفات والديانات القديمة سواء منها السماوى وغيره.

فرأى أن الدور الاول لعلم الكلام يبدأ بالمعتزله وقبلهم اكابر الفقهاء ويمكن عد الاشعرى الذى هو عالم المذهب الشافعى فاتحة الدور الثانى من علم الكلام الذى اصبح علما عقليا سنيا ... رد فعل ضد حرية الفكر المتناهية ورح الفضول فى المعتزلة"(٣) .

---

(١) نفسه ص ١٣ : ١٤.

(٢) نفسه ص ١٤ : ١٥.

(٣) ص ٢٥.

- ويذكر المؤلف فى هذا الفصل ان الاختلاف بين العقل والدين أدى إلى الصراع والانقسام الذى ظهر فى مكافحة الاشعرى والمتكلمين للمعتزلة، ثم يخرج المؤلف المعتزلة من كونهم متكلمين الى كونهم فلاسفة متحررين(١).

- ثم يتناول بعد ذلك بعض المسائل الكلامية والاختلاف بين الفرق فى فهمها ومن ذلك موضوع كلام الله وامكان حصول الرؤية فى الدنيا من عدم إمكانه وكذلك مسأله صفات التشبيه والتجسيم(٢) .

ويقارن المؤلف بين اراء الباقلانى فى الصفات وبين الاقانيم النصرانية فيقول : "وللصفه ضرب من الوجود فى ذات الله يشابه بعض المشابهه - ولكن من غير اتحاد - صفه العرض فى الجوهر، ومع ذلك فإن نظرية احوال الله التى فيها شئ من الغموض تتضح إذا ما قورنت بنظرية الاقانيم الاسكندرانية "(٣) .

ولا يفوت المؤلف الحديث عن أختيار الانسان والمذاهب التى تحدثت عن ذلك(٤) .

---

(١) ص ٢٩

(٢) ص ٣٠.

(٣) ص ٣١.

(٤) ص ٣٢.

الفصل الثانى : وعنوانه الغزالى : سيرته وكتبه

ويتحدث فيه عن الظروف السياسية والتاريخية التى سبقت مولد الغزالى واهم المشكلات الكلامية التى دار حولها النقاش والخلاف بين الفرق الاسلامية وهى القول بخلق القرآن(١) ورأى كل منهم.

ثم يحدثنا موقف الارتياب او الشك عند الغزالى ويقيم موازنه بين منهج ابن سينا ومنهج الغزالى.

ويوضح المؤلف ان من اسباب اختياره لشخصية الغزالى تأثره البالغ بالنصرانية وفى ذلك يقول : "وقد كان لديه من هذه الفضائل، فى الغالب تصور بلغ من الدقه والقرب من تصورنا النصرانى ما يصعب معه ان يعتقد عدم تأثر هذا الاب للمعيد الأسلامى ومن سار على غراره بمؤثر نصرانى وبيئه وتربية نصرانيتين وبهذا ايضا يشعر بانه قريب منا ايضا"(٢) .

وهذه العبارة صريحة فى تفضيل المؤلف للفكر النصرانى بالاضافة إلى اثبات التقليد وعدم الاصالة للفكر الاسلامى.

وبعد ذلك يعقد مقارنة بين تصوف ابن سينا وتصوف الامام الغزالى.

ثم ينتقل إلى الحديث عن شخصية الغزالى ذاكرا نسبه واساتذته وكيف انتقل من الشك إلى اليقين.

---

(١) الغزالى ص ٣٨.

(٢) ص ٤١.

ويحلل المؤلف لحصول هذا الانتقال ليستنتج ان الغزالى بدأ صوفيا واضعا حلول لمسألة الحياة قبل ان يبدأ بالشك ولكن مظهر الشك الخارجى جاء كمسرحيه، أو أن النتائج عنده سبقت المقدمات (الشك) وان الغزالى لم يصل إلى التصوف صدفه ولكنه صار على منهج الصوفيه ليصل إليه(١) .

ثم يذكر المؤلف اشهر مؤلفات الغزالى كأحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفه ومعيار العلم وغيرها.

ولم يفت المؤلف ان يسجل خطأ وقع فيه بعض المستشرقين وهو اعتمادهم على ترجمات عبرية ولا تينيه مما يؤدى إلى الوقوع فى عدم المعرفة السليمة بما يقصده المؤلف مثل ترجمه كتاب تهافت الفلاسفة بتهادر الفلاسفه(٢) .

ونسجل ايضا ما قام به كارادفو من مقارنه بين ما كتبه الغزالى وبين الاراء الموجوده وثبت صحة نسبتها إلى الغزالى مثل ما وجد فى كتاب الاسئلة والاجوبة للغزالى ويشك كارادفو فى صحة نسبتها إليه لوجود آراء إلحادية فيها تخالف ما اعتقده وكتبه فى سائر كتبه(٣) .

وفى الصفحه رقم ٥٥ يتحدث المؤلف عن اسلوب الغزالى ويرى أنه أسلوب موهوب خطيب ورسول وعالم نفس ويؤكد على كلمة رسول فيقول

---

(١) الغزالى ص ٤٩.

(٢) ص ٥٢.

(٣) ص ٥٤.

ولكن من المحتمل على الخصوص ان تكون هذه طريقة الرسول الذى لا يسأم من تكرار محبب الافكار والذى يريدان يهيمن بها على النفوس والذى يلقيها مناوبه تحت كل حليه تبدو بها لنفسه فى أثناء مطالعاته وتأملاته فيلسوف جمع الاستشهادات والاستعارات ضمن حركة غيرته.

وهنا اجد استفهام لم اجد له اجابه ماذا قصد برسول؟ هل اراد التسويه الفكرية بين الفلاسفه والرسل والتى جعلت الفلاسفه اعلى من الرسل، ام اراد به الارسال اللغوى فحسب أم انه قصد بذلك التقليل من شأن رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام بأن يجعل موضوع الارسال عند العرب امرا عاديا ومن مفردات لغتهم ؟؟.

الفصل الثالث : ويحمل عنوان مكافحة الفلاسفة

فى هذا الفصل قسم المؤلف الفكر الاسلامى الى متكلمى السنه وإلى المعتزله الذين يحملون فكرا فلسفيا أكثر تحررا وتمسكا بالعقل ونظرا لاختلاف وجهات النظر حدث صراع بينهما، بالاضافة لظهر فرق ملاحدة واهل جدل مما اوجد الحاجه للرد عليهم.

ورأى المؤلف ان اهمية الرد الحقتـه بالاعتقاد، "وإن شئت فقل يتعليم الدين المحمدى"(١) .

وهذه العباره مرفوضه اسلاميا لأن نسبته للرسول تجعل منه دين بشرى.

---

(١) الغزالى ص ٥٨.

وفى هذا الفصل يعـرض المؤلـف للاصنـاف التـى كافحهـا الغزالـى مـن الفلاسفه وكان قد قسمها الى ثلاثة اقسام :

- دهريون يعتقدون بقدم العالم.
- وطبيعيون او الطبائعين الذين هم اقدم من سقراط.
- مذهب ارسطو والفارابى وابن سينا ومذهب الافلاطونية الجديدة.

ولاحظ المؤلـف ان الغزالـى درس الفلسـفة وقـرأ للفلاسـفه بـروح بـالغ الحرية لم يكدره اى اعتباره مفرط.

وحاصل القول انه يرى (ان الغزالـى) وإن كـان يعـرف وجوهـا اخـرى لمناهج الفلاسـفه بحصـر المعنـى صـوب هجومـه إلـى مذهـب ابـن سـينا علـى الخصـوص.

- وفى كتاب تهافت الفلاسفه جمع الامام إنتقاداته ورتبها.

ثم يعرض المؤلف للمسائل التى عينها الغزالى والتى حلت حـلا إلحاديـا من قبل الفلاسفه وعددها عشرون.

واقتصر كار ادفو على اقل عدد منها وهى :

- نظرية اللانهاية، ولا سيما قدم العالم.
- النظريات المرتبطة بصفات الله، وعلم الله.
- نظرية إنبثاق الكثرة بتعاقب الاجرام السماوية.
- نظرية روحانيه نفس الانسان وجوهريتها.
- ونظرية السببية.

واهتم المؤلف بعرض موجز لأراء خصوم الغزالى ورد موجز للغزالى على تلك النظريات.

ويعلق كارادفو على رد الغزالى "ابدية العالم ولا نهايته"فيقول :" ولذا فإن وضع امامنا فى معضلة اللانهائية الكبرى هذه واضح جدا " وهو ليس وضع مرتاب(١) ، فدائما يؤكد على ان افكاره لم تكن ابدا فكر تشكك وارتياب لان خطواته ثابتة فى البرهنه على القضايا المعقدة.

وحينما يتناول كارادفو رأى الغزالى فى مسألة الارادة الربانية يتفق معه فى كل ما يقول حتى يصل إلى درجة اعتبار الغزالى "نصرانى تقريبا"(٢) .

فقد انتقل بطريقة تدريجية من مجرد القول بتقليد الفكر النصرانى إلى القول بنصرانية افكاره، وكأنه استكبر ان يكون الفكر الاسلامى النابع من الفهم الصحيح للقرآن والسنه إلهى المصدر متفق مع النصرانية فى إثبات الكمال فكان الاقرب له ادعاء تأثر الغزالى الشديد والمطلق بالنصرانية حتى كأنه نصرانى تقريبا، وهنا يبدو واضحا تعصبه الشديد لنصرانيته، بل لجنسه الذى يتمتع بالقدرات العقلية دون غيرهم.

---

(١) الغزالى ص ٦١.

(٢) ص ٦٩.

الفصل الرابع : وعنوانه علم الكلام عند الغزالى

ويرى المؤلف فى هذا الفصل ان الغزالى استطاع هدم نظام الفلاسفة ونظام الزنادقة الآخرين واقام نظام علم الكلام السنى ... على اساس ان موضوعه تعريف العلم الحقيقى وشرعية البحث النظرى فى امر الاعتقاد.

ويعود مستشرقنا ليؤكد على نصرانيه الامام الغزالى فى عبارات صريحة ومباشرة كأنه مهد لهذه الفكره فى الفصول السابقة وبقى له ان يعلن ما وصل إليه البحث من نصرانية مفكر الاسلام، أو على اقل تقدير ناقل للفكر المسيحى فى الاسلام ومن هذه العبارات

ص ٨١ "فما يساوره كله من شعور نصرانى تقريبا".

ص ٨٢ "وهو ككثير من لاهوتى النصرانية"، "وذلك كما فى المله النصرانية"

ص ٨٥ "ولنلاحظ كيف ان هذه الفكره قليلة الجبرية وكيف انها تحمل طابعا نصرانيا.

ص ٨٦ "وهو حكم نصرانى".

ونخلص من ذلك إلى ان امتداح كارادفو للغزالى يحتمل امرين :

الاول : انخداع المسلمين بهذا المدح، والاقتناع بحياده العلمى.

الثانى : إذا انخدع المسلم وسلم بحيدته العلمية جاز ان يصدقه فيما يصل إليه من نتائج.

وتعرض المؤلف فى هذا الفصل لموقف الغزالى من ان العلم الصالح علم خلقى، وتقسيمه العلم إلى علم معاملة وعلم مكاشفه، ثم نظرى وأدبى، وتقسيم العلوم إلى علوم شرعية وغير شرعية وان منها ما هو محمود وما هو مذموم.

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن موقف الغزالى من الفرق المختلفة وموقفه من دراسة قضايا علم الكلام، ومتـى يحـرم استخدام علـم الكـلام ومتـى يكـون مباحا ومتى يكون ضرورة.

ثم يعرض الكاتب لموقف الغزالى من مسألة الايمان والاسـلام والفـارق بينهما ونقصان الايمان لمرتكب الكبيرة، وكعادته يـرى انهـا اراء نصرانيـة او على الاقل كان الغزالى متأثرا بالادب السريانى، فيقول "فإن الغزالى قد تخلص تماما من المؤثر المذهبى فى الحكمـة الوثنيـة مرتبطـا فـى مفـاهيم ذات صبغـة دينية بالغه صادرة عن التوراه ومصوغه بالنصرانية "(١) .

ثم يعرض الكاتب للأدلة القرآنيه ثم العقلية على حدوث العالم واحتياجـه الى الخالق، وادلة ازلية الله، ويرى ان قلم الغزالى ساق الى الكلمة (فهو الأول والآخر) التى تذكر بكلمة (المبدأ والمنتهى النصرانية)(٢) .

ثم يتحدث عن رأى الغزالى فـى الارادة الإلهيـه، ومفهـوم الكـامل الـذى استبعد ان يكون مصدره اصيلا فى فكر الغزالى فلابد ان الافلاطونية الجديـدة والنصرانية هى التى زودته بها(٣) .

---

(١) الغزالى ص ٩١.
(٢) ص ٩٣.
(٣) ص ٩٩.

ثم ينتقل الى الصفات الخبرية التى يجب ان تفسر تفسيرا معنويا خالصا كالاستواء على العرش، ورؤية الله بالابصار فى الاخرة مستدلا بالاية الكريمة (وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة).

ثم يتحدث عن صفات الله السبع (قادر - عالم - حى - مريد وسميع وبصير ومتكلم) قديمة ولها وجود ايجابى.

الفصل الخامس : وعنوانه علم الكلام بعد الغزالى

فى هذا الفصل يعرض كارادفو إلى الدور الذى قام به الغزالى فى اصلاح علم الدين وطرد المناقشات غير المجدية واصاب الفلسفة بهزيمة واضعف شوكة العقل.

وقد تناءى الغزالى عن ابداع فلسفة جديدة وازدرى علوم الفلاسفه.

ثم إن المؤلف يرى أن المذاهب التى اثيرت فى كتب تاريخ الكلام بعيدة من شواغلنا الحاضره وليس أمر دراستها وتحليلها اقل وجوبا إذا ما كانت تهمنا سلامة العلم ثم يحدثنا عن دور ابن ميمون فى كتابه دلائل الحائرين والتى نقلت إلى اللغات الاوربية عن طريق منك وريتروشملدرس، ثم يذكر اهم الآراء عند ابن ميمون والمتكلمين فى الذرة والجوهر والعرض والسكون والحركة.

ثم يتحدث عن دور نجم الدين أبى حفص عمر النسفى والشهرستانى والرازى والبيضاوى والايجى.

ويلاحظ عموما ان المتكلمين كانوا اقل من الغزالى حذرا ثم انهم ناهضوا المتصوفه بشدة على عكس ما فعل الغزالى ومن امثالهم التفتازانى، ثم يحدثنا عن بعض مؤلفات الرازى وموقفه من المعتزله وخاصة فى مسألة الصفات.

الفصل السادس : وعنوانه الاخلاق

ويشتمل القسم الثانى من هذا الكتاب على الفصول الخمسة الاخيرة، ويؤلف بيانا اجماليا للتعليم الصوفى والخلقى فى مدرسة الغزالى وغيرها من المدارس التى تكتنف مدرسته - بهذه الكلمات بدأ كارادفو حديثة فى هذا الفصل.

ويرى كارادفو ان الاخلاق مأخوذه عن القرآن الكتاب المقدس ويرى انه عباره عن نقل عن التوراه والنصرانية مع تكييف البيئة العربية وانه ليس كتاب مقدس او إلاهى ولكنه أدب منظوم.

ثم ان الاخلاق الاسلامية - عنده - مأخوذه عن فلسفات قديمة من اصول مختلفة يونانية باطنيه صوفيه تورائيه، او من البقايا الهندية والفارسيه ودينية نوعا ما، وهذه فلسفه تعد الاعتدال وشيئا من العدل الطبيعى فضائل جوهرية مولدة، من حيث المبدأ لسعادة حاضره وتمنح هذه السعادة مثل غاية لجهد ادنى.

ويؤكد المؤلف ان لدراسة حكمة الامم السابقة فائدة كبيرة وذلك لان لها اصولا عميقة باطنية وتجريبية، ولانها شاهده على عجز غريزى فى الانسان

عن ايجـاد خلقيـه لنفسـه، ولـم يحـدث قـط ان اسـتطاع الادب التلقـائى ونصـف اللاارادى ان ينتصر على نظم الخلقية الدينية.

إذا انفراد الانسان بوضع خلقية سليمة امر بعيد ولكنه انتقل عن طريـق الديانات والفلسفات القديمة والافلاطونية الجديدة إلى الفكر الاسلامى مع زيـادة شرح للنصرانية.

ويشـتمل هـذا الفصـل علـى مقارنـات بيـن مـا كتبـه مؤلفـو الاسـلام فـى الاخلاق وبين ما كتبه النصارى حول هذا الصدد.

ويريد مؤلفنا هنا ان يجعل الربط إلزامى فى إقتباس المسـلمون لتعريـف الاخـلاق سـواء كـانت محمـودة او مذمومـه عنـد يحيـى بـن عـدى والاراء الاسلامية ليجعل لا خيار بين كون المسلمين نقلوا هذه الاراء من مصدرين.

اولا : المصـادر اليونانيـة : كـانوا علـى درايـة تامـه بهـا سـواء عـن طريـق الترجمه او التعلم الشفوى.

ثانيا : المصادر المسيحية التى تعد قريبة نسبيا من الناحية الزمنية من الكتاب الاسلاميين.

ثم يتحدث عن علم الاخلاق عند الغزالى الذى يرى انـه "علـى الراجـح، اقتباسه شكلا للتعليم الخلقى المتداول لدى النصارى"(١) .

---

(١) الغزالى ص ١٣٠.

ثم موقف الغزالى من التصوف والتجربه الصوفيه والاخلاق الصوفيه ثم يتحدث عن موقف الغزالى فى الاحياء والخاص بالاخلاق الاقتصادية والمتعاقدين، والعقد وشروطه.

وموقفه من الاخلاق المذمومه والعقود المحرمه والربا والسلم ... إلى غير ذلك من المسائل التى تقترب من الامور الشرعية اكثر من علاقتها بعلم الاخلاق.

ويتحدث المؤلف ايضا عن بعض الاخلاق العملية ويميز بين نوعين من الاخوه :

- الاخوة فى الله
- اخوه فى الدنيا وهو يجعل تلك اربعة اقسام :

(أ) حب الانسان لذاته (ب) حب لينال من ذاته غير ذاته

(جـ) ان يحبه لا لذاته بل لغيره (د) ان يحب الله وفى الله

وينتقل بعد ذلك الى الحديث عن بعض الاخلاق المذمومة كالكبر والمتكبر والتكبر وأسبابه ومعالجة امراض النفس.

الفصل السابع : التصوف قبل الغزالى

ويرى المؤلف فى مستهل هذا الفصل ان التصوف لم يأتى من مصدر إسلامى ولايمكن ان يبحث عنه فى غير النصرانية والفلسفة اليونانية واديان الهند وفارس وفى اليهودية ثانويا وان جميع هذه المؤثرات كان لها اثر فى تكون التصوف الاسلامى.

كما يعرض المؤلف لاشتقاق كلمة التصـوف، واول مـن لقب بـالصوفى فى الاسلام وهو رجل يكنى بابى هاشم، كما يتحدث عن تاريخ أدب التصـوف وبعض مؤلفات مثل طبقـات الصوفيـه للسـلمى النيسـابورى والطبقـات الكبرى للشعرانى والرسالة القشيرية وغيرها وتحدث عن واصل ابى يزيد البسطامى.

ثم تناول الرسالة القشيرية وهى على حد قوله هى اشهر كتاب ظهر قبل الغزالى فى التصوف ويتناول فيها بعض الالفاظ المستعملة التى تكتسب معـانى صوفيه وهذه الفاظ كالأوقات والاحوال والمقامات ...

ثم يتناول القشيرى مذهب الاخـلاق الزهديـة والتوبـه واقسـامها والخلـوة والعزله ... والصمت والحزن والتواضع.

ثم يحدثنا عن التصوف المشتق من الفلسفه والافلاطونية الجديدة وموقف الفارابى وابن سينا واخوان الصفا.

ثم يذكر لنا نقلا عن رسائل الاخـوان قصـة المسيح وصلبـه، وضـرورة اضافة اعمال الرهبان الى اعمال الرسل.

وهنا يجدر بـى أن اذكـر ان رسـائل الاخـوان التـى رجـع إليهـا المؤلـف ليست من النسخه العربية ولكنهـا نقـلا عـن الرسـائل لمولـف يدعـى ديترشـى، ونفس الحال اتبعه حينما اعتمد على طبعه اجنبية عـن الاصـل العربـى لكتـاب الاشارات لابـن سـينا حيـث حدثنـا عـن مقامـات العـارفين ومعنـى الزهـد عنـد العارف .

ثم يذكر المؤلف مبدأ وحدة الوجود الذى يعتبره مأخوذ عن الاثر الهندى ويحدثنا عن رأى الحلاج وكيف قوبل رأيه بالغضب حتى انه قتل ويذكر ايضا ان رأى الحلاج لم يعرفه بوضوح وإنما كان واقعا فى وحدة الوجود وكان يزعم ان الالوهيه مقيمة به، وكل هذا مرفوض من السنيه الاسلامية.

الفصل الثامن : تصوف الغزالى

ويذكر المؤلف رأى الامام الغزالى وتفرقه بين الدراسة النظرية لاى حال من احوال التصوف وبين التجربه العملية، ويقيم الكاتب مقارنه بين مبشرى النصرانية وبين الصوفى.

ويلاحظ المؤلف اهتمام الغزالى بالبحث عن الاشراق والوجد واثباته امكان حصول العلم بطريق الكشف وتبرير الامام القول بوحدة الوجود بأنها تنشأ على الخصوص عن محاولة عرض احوال بالألفاظ لا يمكن التعبير عنها وهو لايريد أن يتكلم عن مقر فى الله ولا عن اتحاد او اتصال به.

ويقرر المؤلف بعد ذلك ان الغزالى يقر "نظرية معتدله عن التصوف الذى يبعد مذهب وحدة الوجود، والذى يمسك التصوف ضمن حدود سديده"(١).

ويعرض بعد ذلك المؤلف لتصوف الغزالى مبتدأ بالمجاهدة والرياضه وغاية العمل الروحانى ثم الفضائل التى يتالف منها اعلى المحاسن والمشاعر أو الاحوال الصوفية، ثم يحدثنا عن التوبه، ثم مقام الخوف والرجاء، ثم الاحسان وحصول الحب والمشاهده والشوق وكشف الحجاب.

---

(١) الغزالى ص ١٨٤.

ويرى ان بعض هذه الاشياء لها معروفة فى النصرانية حتى تشبيه قلب (المتصوف الذى اكتسب حب الله فى الدنيا بقطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب) بالإناء الذى لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء..

ويعلق على هذا القول " تعرف النصرانية تشبيه النفوس هذا بآنيه لها اتساع وسعادة "(١) .

وكأن الغزالى يقف موقف الشارح للآراء النصرانية .

ويختتم المؤلف هذا الفصل متعجبا من عدم اتباع الغزالى لدعوة النصرانية(٢) .

الفصل التاسع : متصوفه العرب بعد الغزالى

فى هذا الفصل يعرض لنا المؤلف فى خطوط ثابتة أن جذور التصوف الاسلامى لا تخرج عن كونها متأثره بالافلاطونية الجديدة او مذاهب الفرس والهند الدينية القديمة او هى من الافكار النصرانية او فلسفه ابن سينا المأخوذه عن حكمه الاشراق.

ويحدثنا المؤلف عن تصوف السهروردى المقتول ورأيه فى القطبية والغوث ثم اراء ابن سينا وسيطرة فلسفته المتأثره بمذهب الثنوية، وبعض

---

(١) الغزالى ص ١٩٧.

(٢) ص ٢٠٠.

المصطلحات التى كثر استعمالها. فسيطر عليه " الانوار والظلمات " واطلق على الله نور الانوار وقد فرق السهروردى بين التصوف والفقر وكذلك الورع والخلوه، ثم يظهر لنا المؤلف ان كل ذلك مأخوذ عن النصرانية(١) . وكذلك اراء السهروردى فى الطابع الصوفى فى المحبة فى الدين، وفى تحاب الاخوان وتحاب الاستاذ الروحانى والشيخ والتلميذ، وهو يبصر نوعا من تشارك النفوس التقية واتصالا مباشرا خفيا بين الافكار والفضائل والالطاف، ثم يعلن انه لا يدرى من الاسبق فى هذه الاقوال الغزالى ام السهروردى.

ثم يحدثنا عن اخلاق الصوفية ويرى انها مشتقه من النسك النصرانى(٢).
ثم يتحدث بعد ذلك عن البسطامى وعبد القادر الجيلانى الذى يؤكد هو الاخر تأثره بالنصرانية(٣) .

ثم يحدثنا عن ابن الفارض ومحى الدين ابن عربى الذى لقب بالشيخ الاكبر وان تصوفه ابتعد عن مدرسة التصوف النصرانى واتجه الى الافلاطونية الجديدة(٤) وذلك العديد من اراءه وافكاره.

ثم تحدث عن عبد الرزاق السمرقندى واراءة المتأثره بالافلاطونية الجديدة.

---

(١) الغزالى ص ٢٠٨.
(٢) ص ٢١١.
(٣) ص ٢١٤.
(٤) ص ٢٢٤.

ويختتم كارادفو هذا الفصل بأن الغزالى فاز روح التوراة نهائيا الذى عدله روح النصرانية(١) .

تعقيب على الفصل

المؤلف صريح فى هذا الفصل كل الصراحة فى اعتبار متصوفه الاسلام نصارى او متأثرين بالنصارى او الفلسفات القديمة فلم تفارقه ابدا حالة التعصب الدينى النصرانية ولم يجد اى منفذ لإمكان صدور اراء سليمة عن المسلمين يكونون فيها غير متأثرين بأثار نصرانية او غير عربية.

الفصل العاشر : شعراء الفرس المتصوفه

اراد المؤلف فى هذا الكتاب اثبات مصدقية الادعاء بأن التصوف الاسلامى مأخوذ عن مصادر غير عربية حيث وجدت اثار فارسيه شعر ونثر فارسى يشتمل على وحدة الوجود، والفناء الصوفى.

ويختتم المؤلف الكتاب والفصل بأن اعظم حركة يصفها التاريخ الفلسفى فى الاسلام هى الصراع بين الاتجاه العقلى والاتجاه النصرانى الذى يحترم به الانسان بعيدا عن الوثنية، وأن هذه الدراسة التى قام بها تنطوى على صلة بين الاسلام والنصرانية وتكريم الاسلام للنصرانية(٢) و ان حاصل القول من اجل النصرانية، وتوسيع مدى تأثيرها فى التاريخ، وبيان فعل نفوذها، واظهار فوز روحها فيما وراء حدودها، ومن ثم مشاركة بعض الشئ فى تمجيدها(٣) .

---

(١) الغزالى ص٢٣٤.

(٢) ص ٢٦٤.

(٣) نفسه.

ونخلص من ذلك إلى ان المؤلف فى هذه الخاتمة امتاز بالصراحه والوضوح فى اثبات قضية اساسية وهى تأثر جميع الكتاب المسلمون بالفكر النصرانى سواء ما اختص بالمسائل الكلامية او الفلسفية او الصوفية وهذا الوضع هو الذى تميزت به المدرسة الفرنسية فى الاستشراق " بالوضوح فى الافصاح والجلاء فى التعبير والدقة فى البحث "(١) .

ثانيا : عرض لكتاب المستشرقون البريطانيون :

للدكتور أ.ج . اربرى، تعريب الدكتور محمد الدسوقى النوهى محلاه بثمانى لوحات ملونه بالاضافة للعديد من صور اعلام الاستشراق البريطانى وهو يتألف من ثمانى واربعين صفحة من القطع الصغير.

وقبل ان ابدأ فى تناول محتويات الكتاب اود اولا ان اتعرف لشخص المؤلف من هو أ. ج. آربرى ؟

ولد عام ١٩٠٥ Arberry, A.J. تعلم فى مدرسة اللغات الشرقية فى بوتسمات، وكلية كمبردج ، وعين استاذا للغة الفارسيية فى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية وهو يتقن العربية. وقد اصبح زميلا فى كلية بمبروك ١٩٣١ ثم رئيسا لقسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية (١٩٣٢-١٩٣٤)، ثم عين امينا لمكتبة ديوان الهند (١٩٣٤-١٩٣٩) واختير وزيرا للأنباء (١٩٤٠-١٩٤٤)، عين استاذا للغة العربية ثم رئيسا لقسم الدراسات الشرقية

---

(١) مصادر الدراسات الأدبية جـ ٢ ص ٧٧٤-٧٧٥.

والافريقية (١٩٤٦-١٩٤٧) وانتخب عضوا فـي مجـامع علميـة منهـا المجمـع العلمى العربى فى دمشق.

اثاره : كثيرة منها ترجمة كتاب التصـوف (كمبريدج ١٩٣٥) واشـعار الصوفيـة الفارسـية ١٩٣٧، الاسـلام اليـوم بمعاداتـه روم لانـداو (١٩٤٣)، المدخل إلى تاريخ الصوفية (لندن ١٩٤٣) ... الخ[١] .

الكتاب يحتوى على :

المقدمة يتناول خلالها المؤلف توضيح كنه الاستشراق الذى يجمـع بيـن العديـد مـن التخصصـات مثـل علـم الاثـار والحفريـات، والتـاريخ، والصـرف والاشتقاق والاصوات والفلسفه، واللاهوت، والموسيقى والفن.

واهم ما يجمع بين الباحثين فى كل هذه العلوم هـو عـدم انتمـائهم جميعـا إلى هذه الارض لانهم جميعا ينتمون إلى بريطانيا او الغرب الانجليزى.

ويذكر المؤلف ان قاموس اكسفورد الجديد يحدد المستشـرق بأنـه "مـن تبحر فى لغات الشرق وآدابه"[٢] ، وظهـور هذا المدلـول الاصلـى لاصطـلاح مستشرق كان فى سنة ١٦٨٣م حين وصف انتونى وود صمويل كـلارك بأنـه (استشراقى نابه)[٣] .

ثم يحدد لنا نطاق الاستشراق فنرتحل معه من الغرب إلى الشرق.

---

(١) المستشرقون نجيب العقيقى جـ ٢.

(٢) المستشرقون البريطانيون أ.ج. اربرى ص ٨.

(٣) نفسه.

فيحدثنا عن العرب والترك والفرس، ولا يفوت مؤلفنا استبعاده لبعض المناطق موضحا السبب فى ذلك، فيترك العبرية لكونها لغة ميته وفى احيائها شكل من الاسلوب الغربى.

كما يترك الدراسات المصرية والآشورية لعلماء الاثار والحفريات، وهو بذلك يستبعد المناطق صاحبة الحضارة القديمة كأن البحث ينحصر فيها على الآثار والحفريات، أما ما احتوته هذه الحضارات من فن وموسيقى وهندسة وطب وعمارة بالاضافة لأفكار لاهوتيه وعقائد مختلفة تنتقل خلال عصور التاريخ من الفرعونى والقبطى والاسلامى والتى تتفق فى وجود افكار ميتافيزيقية ترجع لمصادر ثقافية ودينية حيث عاش فيها مزيج فكرى وملتقى حضارى مزج حضارات العصرين القديم والوسيط.

فلا أجد سبب لاستبعادها سوى انها فى بعض الفترات استعملت لغات قديمة لم تعد مستعملة، إلا انها نقلت لشعوب تلك المناطق رصيد عظيم من المعلومات التى توارثتها شعوبهم رغم تركهم اللغات القديمة للغات اخرى معاصره.

ثم يحدثنا المؤلف عن جزائر الهند الشرقية والشرق الاقصى والكاتب يهتم اهتمام بالغ بالأدب واللغة والاساطير والاشعار التى تحتويها، وينبهر بتلك الدقة اللفظية واللغوية التى تحتويها الدراسات ككتاب كليله ودمنه والف ليله وليله ورباعيات الخيام واساطير الهند التى كان لأوربا الفضل فى نشرها فى ارجاء المعموره.

وبذلك يكون الاستاذ اربرى جرد اصحاب تلك المؤلفات التى امتعت الانسانية من اقل حقوقهم وهى امتاع الجمهور لانهم عجزوا عن ذلك فأصبحت محلية حتى ترجمها المستشرقون ونشروها فى ارجاء المعموره.

معنى الاستشراق :

ويرى المؤلف ان الاستشراق يتعلق بأمور ثلاثة :

الأول : الارتحال الى تلك المناطق لدراسة كل ما يتعلق بها.

الثانى : الدراسة لكل ما يتعلق بالشرق دون الحاجة إلى الارتحال والسفر إليها(١) .

الثالث : لا يلزم من الدراسة والارتحال الى الشرق ضرورة المعرفة التامه او الالمام بلغات الشرق فقد اعتمد بعض المستشرقين على الكتب الانجليزية لعدم درايتهم أو معرفتهم للغه الفارسية حتى توافرت الوسائل المادية التى مكنتهم من كتابة مؤلفهم العظيم وتاريخ الهند كما يرويه مؤرخوها فى ثمانية اجزاء(٢) .

أهداف الاستشراق :

وهناك نوعان من الاهداف التى ذكرها المؤلف

النوع الأول : الاهداف المعلنه الصريحه وهى :

١- الرغبه الخالصة فى الاستكشاف والشغف بالدراسة كأمر وراثى فى المستشرق البريطانى، وميله الغريزى الذى اثار فضوله واهتمامه بالشرق رغم فوارق اللون والجنس والدين الذى يشعره بتشابه عميق يربطه بفكر

---

(١) المستشرقون البريطانيون ص ١٠.

(٢) نفسه ص ١٨.

الشرق وروحه ويعلو على الاختلافات الثانوية، فبين الشخص فى الغرب واخيه فى الشرق لا يوجد حاجز لايستطاع تخطيه(١) .

٢- **التجارة** : بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، فأول انجليزى سعى للحصول على امتيازات تجارية فى البلاط الفارسى حمل معه خطابات بالعبرية، واللاتينيه والايطالية وانتفعت التجارة والدبلوماسية البريطانية وتأسست شركة الهند الشرقية الحديثة بمرسوم ملكى فى حكم إليزابث، وقد عملت الشركة محاولات لايجاد علاقات تجارية مع فارس عن طريق روسيا منذ ١٥٦٠، وانفتحت البحار امام التجار البريطانيين(٢) .

٣- تسويه الذهن بعد مسؤلية الحكم.

٤- التبشير الذى نتج عنه التحول إلى ديانات الشرق : فرغبه المبشرين فى التبشير بتعاليم السيد المسيح دفعتهم إلى تعلم ما للجماعة التى سيلقونها من لغه وطرق تفكير خاصة وانه وجد نفسه امام دين تبشيرى اخر هو الاسلام، فحاجة المبشرين للرد على الدعاه المستندين على ثقافة ناجحه وفلسفه لاهوتيه دقيقة دفعتهم لمزيد من التعلم للغات تلك المناطق.

ثانيا : الاهداف غير المعلنه :

ومن خلال الاهداف المعلنه والمباشره نجد ان هناك اهدافا اخرى غير معلنه فيعرض المؤلف للعديد من القضايا الصعبه ولكنه لا يتناولها بطريقة مباشره، ولكن بالاشارات البعيده.

---

(١) المستشرقون البريطانيون ص ١٠،٤٦،٤٧.

(٢) نفسه ص ١٤.

ويختار لاثبات مدى المشقه والجهد الذى بذله رجال ونساء الاستشراق الانجليزى لمناطق بعينها كالهند وجزر العرب والفرس وغيرهم، فإمتدح العرب فى لغتهم وآدابهم وشعرهم ثم نفى عنهم اى نبوغ اخر فى كل المجالات تمهيدا لاثبات اهدافه الغير معلنه - حيث تميزت بيئتهم الجدبة بما اورثهم الجد الفكرى رغم تكوينهم لاعظم حضارات العالم ألا وهى الحضارة العربية الاسلاميه، ولكن الباحث يرى أن بناء هذه الحضاره كان على اساس الاقتباس من الحضارات القديمة بالاضافه إلى دخولهم المناطق النصرانيه التى احتوت على افكار ميتافيزيقية ولاهوتيه قيمة.

ومن هذه القضايا :

القدرة والارادة

ويحاول الكاتب تفسير التسامح الدينى وفهم العلاقة بين القدرة والارادة الإلهية وقدرة الانسان وارادته التى تسمى بافعال العباد، على ان مصدر فهم هذه العلاقة ليس مصدراً إلهيا، ولكنه وليد الظروف البيئية القاسية التى حتما كان لها اثرها على فهم القدرة الإلهيه ووصفها بالشمولية المبنية على الارادة المطلقة لله تعالى.

ويصف هذه العقيدة الاساسية بأنها عقائد اولية.

وتشعرنا هذه العباره "ولكن المميزات الذاتيه لكل أمه اسلاميه ادخلت تعديلاتها على الاساس المشترك(١) ،(أن جدب صحراء العرب أوجد نوعا من الجدب الفكرى الذى وجد فى عقيدة العرب الاساسية، سرعان مازال هذا

---

(١) المستشرقون البريطانيون ص ٩.

الجدب حينما عاش العرب جنبا إلى جنب مع الشعوب المهزومه ذات الحضارة القديمة وارثة اليونان والرومان معتنقه النصرانية). كأنه اراد ان يقول ان تعديل العقيدة الاسلامية الغير مناسبة كان مصدره الديانة المسيحية، لأن نبوغ العرب اقتصر على ميادين الشعر والأدب اساسا أما سائر فروع العلم فهذا النبوغ لا يتناسب بحال مع اصوله المحدودة.

كلام الله بلفظه

لقد جعل الكاتب من تاريخ المسلمين فى صدر الاسلام والخلافه قصة روائية درامية لا تلتصق بالواقع فى شئ حيث انها قصة لا تعادلها قصة فى بهائها.

فموضوع ان القرآن يعتبر كلام الله بلفظه موضوع جديد بالدراسة(١) هذه العبارة تشعرنا بما يريد ان يسقطه الكاتب من التشكيك فى هذه الحقيقة حيث انه يرجع عظمه القرآن لا إلى مصدر إلهى صادر عنه ولكن يرجعه إلى أمرين :

الأول : قدرة العربى على الابداع فى فنون الادب والشعر والمدح.

الثانى : الامكانات العظيمة للغة العربية التى وصفها بأنها عبقرية التركيب صلدة البناء ودقيقة الاحساس فى وقت معا، وذات مفردات تكاد لا تحد أمدتها كل قبيلة بمفرداتها.

وهى من وجهة النظر اللاهوتيه اداه كامله (للتعبير) .

---

(١) المستشرقون البريطانيون ص ٩.

نصل من هذه المقدمات إلى النتيجة التى يريد مؤلفنا ان نصل إليها القرآن ليس كلام الله وهو بشرى نبع من قدرات العربى اللغوية هذه احدى الدعاوى التى اراد ان يهدم بها عقائد المسلمين للنيل منهم.

التصوف الاسلامى

يرى اربرى ان التصوف غريزة يختص بها الجنس الارى(١) ، ففتح فارس التى كان لها علاقة باليونان ذات الجنس الارى والحضاره العريقة كان لها الاثر الذى ادخل فى عقيدة الاسلام التصوف الذى اعجب به العرب واقتبسوه بل ان المستشرقيين وجدوا أن تأملات الرهبان فى المعاقل الجبلية وما تتسم به من التعبيرات الميتافيزيقية الدقيقة والخواطر الساميه (التى نقلها المسلمون فيما بعد) وحكمه كنفشيوس العميقة العلمية الفكهه.

نصل مع الكاتب لأنه لا اساس اسلامى للتصوف ولا نبوغ عربى عقلى ولكن نبوغهم لغوى اعتمد على الاقتباس فحسب.

هذه هى الاهداف الغير معلنه التى اراد ان تصل الى القارئ فى كل مكان وإظهارا لإنصافه للعرب ودينهم امتدح لغتهم وقدرتهم التعبيرية، أما الدور الذى قامت به حضارة العرب والاسلام فإن الفضل يرجع إليهم فى نقل ترجمات ارسطو وجالينوس الى الانجليزية التى كان لها اهميتها فى الحركة الاولى للنهضة الاوربية فلجوء المستشرقين لدراسة اللغة العربية كان مفتاح لدراسة الفلسفة القديمة والعلم القديم، وكذلك كان لها الفضل فى الطب والرياضه والفلك .

---

(٢) المستشرقون البريطانيون ص ٩.

اما ما يعده المؤلف مفخره للحضارة العربية فهو الادب العربى والثقافة العربية وهذه تعد اشارة الى جدب الثقافة العربية من الجهه الفلسفية فهى مجرد دور الناقل دون زيادة او ابتكار من قبل نفسه.

ثم ان المؤلف لم يشر إطلاقا الى الثقافة الاسلامية التى عمت كل الجهات وشملت فتوحات كأنه اراد أن يتناسى الاسلام ويوجد نزاعابين اجناس مختلفة غير مجتمعه فى اهم شئ وهو كونها تنتمى لدين واحد له اثاره فى عقلية معتنقية المؤمنين به بل لابد.ان يتخطاهم إلى كل شعوب البلاد المفتوحه التى دانت للإسلام والمسلمون وعاشت تحت لواءها ازمانا طويلة.

منهج المستشرقين :

أما المنهج الذى اخترعه المستشرق دون سبق او تقليد هو :

- وضع مناهج واقيه تتفق وطبيعة الموضوعات التى درسوها.
- الاعتماد على الذات ونقدها نقدا ذاتيا دون اى مساعدة خارجية ودون اللجوء إلى مناهج سابقة للسير على منوالها.
- دراسة اللغات الشرقية على تعددها واختلاف لهجاتها.

المستشرقون الانجليز :

وابرز المستشرقون الانجليز المهتمون بدراسة ما يتعلق ببلاد العرب وفارس على سبيل المثال لا الحصر :

- اديلارد : وهو معلم هنرى الثانى.
- ميكائيل سكوت الذى ترجم اعمال ارسطو.
- وليم بدويل : اصدر اول ترجمة للقرآن.

- أ.ج. جوب : اعظم عـالم بالتركيـة، خلـدت امـه ذكـراه بعـد وفاتـه بإنشـاء وقف لنشر الكتب عن الدراسات العربية والفارسـية والتركيـه ممـا سـهل طبع ونشر النصوص النادرة.
- ا. و . وين : الف كتاب (طباع المصريين وعادتهم فـى العصـر الحـاضر) لإعجابه بالقاهرة التى لم تؤثر فيها المؤثرات الغربية، وترجمة صحيحـه لكتاب الف ليلة وليلة.
- السير رتشارد بيرتون اهتم بدراسة الحياة الاجتماعية فى القرون الوسطى.
- تشارلز دوتى مؤلف كتاب بلاد العرب الصحراوية.
- أ. هـ . بالمر الذى اجاد العربية والفارسية والاردية.
- ميور وكان مؤرخا وكتب كتابا عن سيرة محمد ونشـأة الخلافه وتدهورها وانهيارها.
- السير تشارلز ليال اهتم بالشعر العربى القديم.
- اللادى آن بلنت حفيدة اللورد بيرون عـاونت زوجهـا ولفـرد سـكاون بلنـت نصير كل الشعوب المهضومه وصديق جمـال الديـن الافغـانى وعرابـى باشا وقامت بابدع ترجمه عملت فى اى لغة للمعلقات الخالدة.
- ادورد فتزجرالد ترجم رباعيات الخيام وقلده الكثيرون.

...... وكثيرون غيرهم من العلماء المستشرقين الانجليز.

وتناول المؤلف بعد ذلك موقف المستشرق الانجليزى من الهند وجزائـر الهند الشرقية والشـرق الاقصـى، وشـرح الـدور الـذى قـاموا بـه وابـرز الشخصيات التى كان لها اثرهـا لا علـى الاوربييـن فحسـب ولكـن علـى سكان تلك المناطق.

تعقيب على كتاب "المستشرقون البريطانيون"

مؤلف الكتاب أ. ج. اربرى قام بدراسة عظيمة اراد من خلالها اظهار الجهد العظيم الذى بذله المستشرق البريطانى لنقل العلوم الشرقية الى الاوربيين، وما تعرضوا له من صعوبات، وبدأ مؤلفه بتفسير وتوضيح :

- الاستشراق والمستشرق.
- اهداف الاستشراق.
- منهج المستشرقين وابرزهم.
- العلاقة بين التبشير والاستشراق.
- المجهودات التى قام بها المستشرقون البريطانيون فى بلاد العرب وفارس.
- الهند.
- جزائر الهند الشرقية والشرق الاقصى.

ومن خلال الدراسة حقق جميع الاهداف التى ارادها سواء منها المعلن وغير المعلن.

وقد اوصلتنى هذه الدراسة لنتيجة هامة وهى عدم الثقة فى عبارات المدح التى ملأت مؤلفات المستشرقين سواء فى ذلك الانجليز والفرنسيين الذين جردوا الفكر الاسلامى من اصالته بل ان اى فكره او قضيه إن وافقتهم فهى مقتبسه من فكر آرى لا يصل إليه الجنس السامى او انها مقتبسه من الديانه النصرانية.

اما الدين الاسلامى فهو محمدى بشرى صبغته لغه العرب بدقه مفرداتها ورصانه اسلوبها ولكنه لايرقى لأن يكون كتاباً إلهياً ودينياً سماوياً.

وبعيدا عن الدين نجد ان للمستشرقون أياد بيض في التاريخ والترجمه ومختلف العلوم ... وهذا ما لا يمكن انكاره او الجحود به.

ومع ذلك لا يمكن إنكار ان من بين المستشرقون من انصف وفتح الله قلبه وعينه لإدراك الحق وكون مصدر الاسلام إلهى فأعتنق الاسلام ودان به وله، دون تعصب لجنس آرى ضد دين سامى، او تعصب لدين النصرانية ضد الاسلام وهؤلاء كثيرون.

وقد ذكر الامام عبد الحليم محمود فى كتابه اوربا والاسلام(١) "ان هناك مفكرين منصفين لا غربيين فحسب بل عالميون ايضا، وهؤلاء درسوا الاسلام دراسة عميقة فأحبه البعض وآمن به البعض واعلن اسلامه وصدق به ... وفريق اخر احب الاسلام ومدحه ولا ندرى ماذا اسر فى نفسه" ومن الذين اعلنوا اسلامهم :

- الكونت هنرى دى كاسترى كتب كتاب الاسلام سوانح وخواطر.
- كارلايل كتب كتابه عنوانه الابطال وترجم إلى كل اللغات الحيه.
- تولوستوى المؤلف الروسى الذى انصف الاسلام فحرمه البابا من رحمة الله.
- اللورد هيدلى الذى اثار اسلامه ضجه عظيمة لمكانته ونضج تفكيره.
- الشيخ عبد الواحد يحيى : وهو الفيلسوف الصوفى (رينيه جينو) الذى يعرفه كل الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية.
- الدكتور جرينيه : الذى قال عن سبب اسلامه : "إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية، والتى درستها من

---

(١) ص ٥١،٥٢.

صغرى، واعلمها جيدا، فوجدت هذه الايات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لانى تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة من قبل ان يكون معلم او مدرس من البشر"(١) . وغير هؤلاء كثيرون.

ومن العرض السابق لأحد النماذج الفرنسية والانجليزية وبإحداث نوع من المقارنة بين المستشرقين فى البلدين وجدت اتفاق فى ثلاث قضايا اثارها الاستشراق وهى :

اولا : موقفهم من الفلسفة الشرقية على العموم والاسلامية خاصة.

ثانيا : موقفهم من الجنس الآرى والدين السامى.

ثالثا : محاولة تنصير الفكر الفلسفى الاسلامى.

وهذه القضايا ليست قضايا او مواقف منفصله ولكنها متشابكه يؤدى كل منها للاخر.

فالدعوة بعدم وجود فلسفه فى الشرق الاسلامى، أو بعدم قيمة تلك الفلسفه، دعوة مرفوضة ومبنية على تعصب لا أساس له وفى ذلك يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق(٢) .

---

(١) اوربا والاسلام د/ عبد الحليم محمود ص ٨٧ دار المعارف سنة ١٩٨٦م.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ٢٧.

"إن الناظر فيما بذل الغربيون من جهود فى دراسة الفلسفه الاسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الاعجاب بصبرهم ونشاطهم، وسعة إطلاعهم وحسن طريقتهم".

وإذا كنا المعنا الى نزوات من الضعف الانسانى تشوب احيانا جهودهم فى خدمة العلم، فإنا نرجو ان يكون فى تيقظ عواطف الخير فى البشر وانسياقها الى دعوة السلم العام، والنزاهه الخالصة والانصاف والتسامح مدعاه للتعاون بين الناس جميعا فى خدمة العلم بإعتباره نورا لا ينبغى ان يخالط صفاء كدر.

وليس بيئسنا من ذلك ان تهب فى بعض البلاد نزعات كانت ركدت ريحها من شأنها ان تخلص نفوس الناس من عوامل العصبية والهوى.

مثل تفوق السلاله النورديه لشعوب اوربا الشمالية التى تحيا فى المانيا لهذا العهد ومثل تفوق البيض على السود المنتشرة فى امريكا الشمالية ...".

والقول بالتفوق لجنس على جنس ظاهره انتشرت فى فكر الاستشراق بوجه عام فنجد الاستاذ ت . ج. دى بور يقول : "لم تكن للعقل السامى قبل اتصاله بالفلسفه اليونانية ثمرات وراء الاحاجى والامثال الحكيمة، وكان هذا التفكير السامى يقوم على نظرات فى شؤون الطبيعة متفرقة لا رباط بينها، ويقوم بوجه خاص على النظر فى حياة الانسان وفى مصيره، وإذا عرض

للعقل السامى ما يعجز عن ادراكه، لم يشق عليه ان يرده إلى اراده الله التى لا يعجزها شئ، والتى لا ندرك مداها ولا اسرارها ..."(١) .

وهذه النظرة التعصبية للفكر الآرى لم تقتصر على العصور الحديثة ولكن غطرسه الجنس الارى وشعوره بالسبق والافضلية، فهذا ارسطو رغم ما له من مكانه يسقط سخافات وخرافات يرفضها العلم مثل : "كون الشعوب التى تعيش فى الشمال الجليدى واوربا شجعان، إما الشرقيون فيمتازون بالذكاء والمهارة ولكنهم خلو من الشجاعة لهذا هم مغلوبون ومستعبدون إلى الابد.

وأما الشعب اليونانى فيجمع بين الميزتين، الشجاعة والذكاء، كما أن بلده متوسط الموقع، لهذا فهو يحتفظ بالحرية ولو اتيحت له الوحدة لتسلط على الجميع.

ويعلق الاستاذ يوسف كرم على هذا النص قائلا (لم يستطع ارسطو ان يسمو فوق عرف عصره)(٢) .

وتجرنا هذه القضية الى موضوع آخر هل الجنس الارى اختص بالميل الفطرى للفلسفه والتصوف دون سائر الاجناس ؟

بل هل هناك تفكير شرقى اصلا ؟ وإن وجد هل سبق التفكير الغربى؟

وإن ثبت هذا السبق هل استفاد الغرب فى بنائه الفلسفى من الشرق ؟

---

(١) تاريخ الفلسفه فى الاسلام تأليف ت.ج. دى بور مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٣٧٧-١٩٥٧ ، ص ١٣.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٦٥، التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ٢٩٣.

هذه القضايا حار فيها الكاتبون بين مؤيـد ومعـارض وكـل تمسـك بدليلـه على ما سيتضح.

فقد ذهب فريق إلـى ان التفكير الشـرقى السـابق علـى التفكير اليونـانى تفكير بدائى لم يصعد إلى الدرجة التى يستحق ان يسمى فلسفه.

ويذكر د/ سليمان دنيا فى كتابـه التفكير الفلسـفى فـى الاسـلام مـا ارتـأه صاحب دروس فى الفلسفه التوجيهيه، اذ يقول "فى العصر القديم لا نجد فلسـفه بمعنى الكلمة إلا لدى اليونان ....، ويعلق على ذلك بأن ليس المقصود بذلك ان الشعوب الشرقية القديمة لم تعرف المسائل الفلسفية الكبرى، كـلا إنهـا عرفتهـا واعملت فيها عقولها قبل ان يتفلسف اليونان ولكنها لم تعالجها بالحد والبرهان، كما فعل اليونان وإنما استخدمت الخيال والقصص وجـاءت الاراء اقـل نضجـا وإحكاما من اراء فلاسفة اليونان.

وهى فوق ذلك لم تنظر فـى المسـائل لذاتهـا، كموضـوعـات علـم مسـتقل مرتبط الاجزاء بل اعتبرتها مسائل دينيـة وعالجتهـا بـالقدر الـلازم للديـن. فلـم تجرد الفلسفة من الدين، ولم ترتب مسائلها فى علوم متمايزه .

فنحن نسلم أن الشـعوب الشـرقية سـبقت اليونـان الـى الشـئ الكثـير مـن المعارف والآراء. وان اليونان اخذوا عنها.

ولكنا نقول : إن تلك الاراء والمعارف اتخذت عندهم شأنا آخر بـالتحليل والتعريف والبرهنه، وأنهم زادوا عليها امورا كثيرة لم يسبقوا إليها.

وهذا شأن كل تطور فكرى حيث انــه يجدد ويأخذ ممن سبقوه ويكمل بفكر اخر مضيفا إليه من روحه ثقافته مالم يكن فيه.

ويخلص د/ سليمان دنيا من ذلك إلى :

اولا : ان الشرق عرف المشكلات الفلسفية الكبرى وكذلك حدوث العالم وقدمه ومشكلة ابدية العالم ... الخ.

ثانيا : ان الشرق قد اعمل فى هذه المشكلات عقله ... ولكنه لم يصل لما وصل اليه غيره.

فالعقل الشرقى لما عالج المشكلات الفلسفية لم يصف له الجو بل زاحمه الخيال(١) .

ويصل من ذلك لنتيجة هامة اذ يقول :

"انى لا اريد ان اغالط نفسى او غيرى فأزعم ان الشرق القديم يقف على قدم المساواه مع الاغريق فى العلم والمعرفة، ولكنى فقط اريد من علوائهم اولئك المفتونين بكل ماهو اجنبى عن الشرق، اريد ان يعرفوا ان الشرق هو الذى شق الطريق، والغرب واقف وراءه من بعيد ينتظر، فماذا كان يفعل الغرب حين كان الشرق يبحث فى اصل الوجود ومصيره، واصل الانسان ومصيره ؟"(٢) .

---

(١) تاريخ الفلسفه اليونانية ص ٢٦٥ د/ يوسف كرم.

(٢) التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ٢٩٥.

وانا لا اوافق استاذنا الدكتور سليمان دنيا فيما وصل إليه من تصور ارتقاء فلسفة الغرب على الشرق لامرين :

الاول : ان وجود الاديان الإلهيه السماوية في الشرق وضع قواعد وحلول جاهزة يقينية وغير مبنية على الاساطير او التخبط الفلسفى الميتافيزيقى لمشكلات معقدة لم تستطع الفلسفة البت فى حقائقها التى تنتمى إلى ما وراء الطبيعة التى تجهلها ولا يمكن للعقل الوصول فيها لنتائج يقينية فكيف يحيط المحدود باللامحدود.

ثانيا : ان ارتقاء الفلسفة فى العصر الحديث وصل بها إلى اعلى الدرجات حتى استقر لها الامر فوجدت ضرورة تطوير دراسة الفلسفة للوصول بها إلى خدمة الإنسان والمجتمع ولابد ان يكون ذلك هو هدفها الاسمى.

ونخلص من ذلك إلى نتيجة هامه ان تغير الهدف فى البحث الفلسفى من عصر لعصر امر طبيعى.

فإذا كانت الفلسفة فى العصر الحديث وصلت لنتيجة هامه إنها ليست فقط فلسفة من اجل الفلسفة بل ينبغى ان تكون فلسفة من اجل الإنسان والمجتمع.

وأذا كانت العصور القديمة فى الشرق الاسلامى وصلت لنفس النتيجة فمعنى ذلك انها سبقت الغرب بقرون عديدة.

اما ان القول بأن الاغريق سبقوا الشرق والعرب وأن حركة الترجمة كان لها أثرها فى النقل عن اليونان طرق الاستدلال والادلة وهذه حقيقة لا مفر

منها، والاستفادة من الثقافات الاخرى فى بناء الحضارات الجديدة أمر مألوف إلا ان استعمال هذه الادلة النظرية والخروج بها من خدمة الانسان وتيسير وتسهيل تكيفه مع المجتمع الى الامتاع بالدراسة والتفلسف على الطريقة اليونانية يعد عودة إلى الوراء وانتكاسه للفكر.

والفكر الاسلامى لم يسقط فى هذا اليم بل حاول ان يقرب ويجمع بين ذاتيته ببحث الفلسفه واشباع طموحاته فى خدمة الانسان والإنسانية بالمناهج المنطقية اليونانية فعمل على التوفيق بين الدين والفلسفة كما عمد إلى نشر الدعوة بطرق إقناعية ... إلى غير ذلك.

وهنا يلتقى الفكر اليونانى والفكر الاسلامى، فمغايرة طرق البحث الفلسفى والاستدلالى عن طريق اليونان ومغايرة الهدف الذى يسعى إليه كل منهما ليس معناه انعدام الفكر الفلسفى عند من اتبع اسلوبا مختلفا ولكن – عندى – معناه ارتقاء الفكر العربى والاسلامى فسبق إلى نتائج لم يصل إليها الفكر الغربى إلا بعد مرور قرون عديدة.

الخاتمــة

هذه الدراسة التى تقوم على مفهوم الاستشراق والدور الذى قام بـه فـى الحفاظ على التراث الفكرى والاسلامى وهو بلاشـك دور عظيـم يحتـوى علـى جانب ايجابى وآخر سلبى.

- أما الجانب الايجابى فهو يتمثل فى البحث عن المخطوطات وتحقيقها ودراستها وتحليلها تحليلا دقيقا ووضع مناهج متخصصة تتفق وطبيعة كل علم من العلوم بما يسهل على كل من الباحث والـدارس استخراج وفهـم واسـتنباط المعلومات بدقة ووضوح، بالاضافة للدور الذى قام به المستشرق لخدمة بـلادة بتطوير هذه العلوم وتصحيح ما احتـاج منهـا للتصحيـح فخـدم الفكـر الانسـانى والحضارة ا لانسانية ككل.

- امـا الجـانب السـلبى فـى الفكـر الاستشـراقى : هـو ظهـور بعـض المغالطات التى تخدم فكر على حسـاب فكـر آخـر ومحاولـة التسـهيل لاطمـاع استعمارية بتأسيس افكار غير صحيحة فى اذهان بعض الشعوب.

ومن الجوانبه السلبية ايضا ظهور بعض النزعات :

- كالنزعة التفوقية : والتـى يظهـر فيهـا بوضـوح تفـوق الغـرب علـى الشرق وهذا إن بدأ صحيحا فى فترة من الفترات إلا ان الشرق ايضا لـه دوره الذى قام به ليحمل مشعل الحضارة فى اوقات اخرى.

- النزعه التحليلية والتى تعتمد اساسا على العقل الذى قد يخدم مصالح معينة تبعده عن الحيدة العلميـة بالاضافـة إلـى ان الناحيـة الماديـة غلبت على الفكر الانسانى فطغت على الجوانب الروحية بما لها من قيمة.

وإن كنت اقر بفائدة عظيمة فى هذه النزعة فى جوانب اخرى علمية بعيدا عن الدين ومعتقداته.

النزعة التخصصية : وهى تعد من الجوانب الايجابية لان ظهور التخصص فى الميادين العلمية المختلفة دفع علماء الاستشراق البحث عن اجابة دقيقة عن المشكلات التى تتعلق بالميادين التى يبحثون فيها، وساعدهم على ذلك ظهور يقظه فكرية فى العالم العربى بأثره مما احدث تغير اجتماعى وثقافى يتطلب دراسة اعمق واشمل.

- النزعة اللاهوتيه : فإن حصولها ووجودها فى الفلسفة عامة امتد اثره إلى ميدان الاستشراق لاختراق وفهم ودراسة فكر الشرق وعقيدته بل وفلسفته والمؤثرات عليها سواء بدافع علمى فلسفى او لدافع استعمارى استغلالى.

- النزعة السياسية التى حولت الثقة المطلقة فى الاستشراق تتحول إلى ريبه او شك فى الدوافع ... ولكن رغم هذه المخاوف إلا ان هناك بعض المستشرقين تمسكوا بالامانة العلمية والبحث العلمى والدراسة الخالية من الاغراض فنفعوا العلم والانسانية.

وأود هنا ان انوه بأن موضوع الاستشراق والفلسفة الاسلامية مـن وجـه نظر المستشرقين من خلال دراسـة لمؤلـف الغزالـى لكـارادفو وكذلـك دراسـة كتاب المستشرقون البريطانيون لاربرى حملت فى جوانبها دراسة دقيقة للفكـر الاسـلامى الانسـانى المتطـور إن كـانت هـذه الدراسـة لا تخـل مـن التعصـب والامتداح للنصرانية التى لا ننكر فضلها لأن مصدرها فيما صح من اراء فلسفية دينية لا يرجع إلا إلى دراسة لنصوص او معتقدات دينيـة مـأخوذة عـن روح ايمانية صادقة. إلا ان هذه الدراسـة رغـم كـل مـا تحملـه وضعـت الفكـر الاسلامى فى صورة لا تليق به حتـى لـو اتفـق معهـا فـإن دوره يقتصـر علـى التقليد من النصرانية او مجرد بلورة لآراء فلسفية غير عربية فالتعصب الدينى والجنسى ملء هذا المؤلف العظيم، وهذا ما ارفضه بشدة .

وارجو أن أكون وصلت لما كنت انشده من ضرورة الحيطه فـى الاخـذ والنقـل عـن المستشـرقين علـى وجـه العمـوم خاصـة ان منهـم مـن لـم يرجـع للمصادر العربية نفسها واعتمد فيما نقله على نصوص اجنبية مترجمة لاصول عربيـة مـع صعوبـة حصولـه علـى المصـادر الكافيـة لاصـدار احكامـه عليـه بالدرجة الكافية.

المراجـــــع

- القرآن الكريم
- اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى. د/ على محمد جريشة.
- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية، ابراهيم خليل.
- تاريخ الامام محمد عبده.
- التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، د/ عمر فروخ.
- التصوف عند المستشرقين، احمد الشرباصى.
- تهذيب اللغه.
- سنن الترمذى.
- الغزالى كارادفو - ترجمة عادل زعيتر.
- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د/ محمد البهى.
- فلسفة الاستشراق واثرها فى الأدب العربى المعاصر ، د/ احمد سمايلوفيتش.
- القاموس المحيط.
- قصة الحضارة رول ديورانت جـ ١ الترجمة العربية.
- لسان العرب لابن منظور.
- المستشرقون - نجيب عقيقى جـ ١ ، جـ ٢.
- المستشرقون والاسلام - حسين هراوى.
- المعجم الوسيط.
- مفهوم الفكر الاسلامى بين الحقيقة والواقع.

فهرست الموضوعات

رقم الايداع بدار الكتب
٩٤/٢١٤٩
I.S.B.N. : 17-5261-19-8